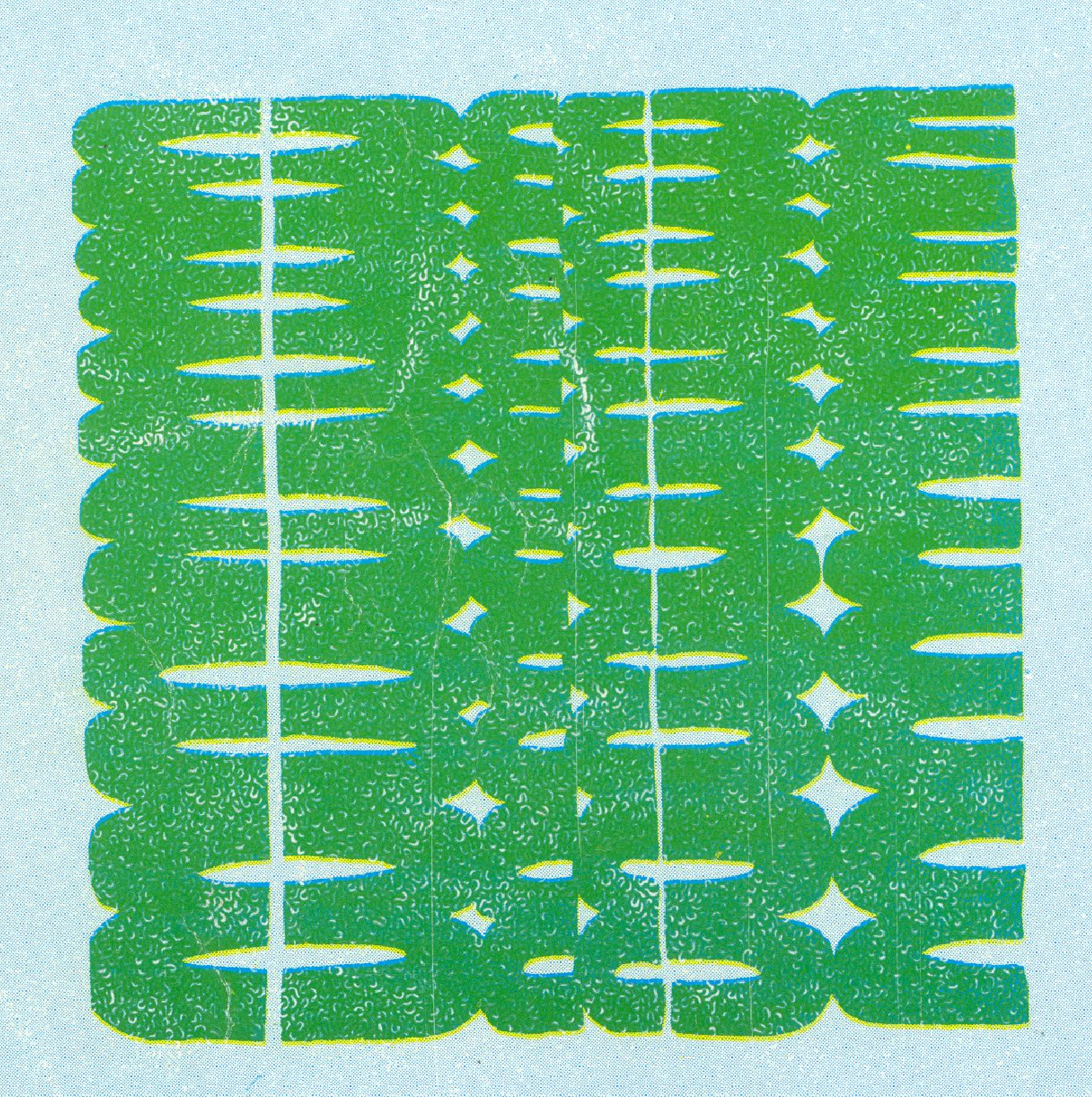
خصائص اللغة العربية

تفصيل وتحقيق



...كتور

...ن جبل



دار الفكر العربي

خصائص اللغة العربية

تفصيل وتحقيق

الدكتور محمد حسن حسن جبل
كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بمكة المكرمة - جامعة أم القرى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش جواد حسني - القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت: ٣٩٢٥٥٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن والاه ، واتبع هداه . وبعد

فهذا كتاب عن خصائص اللغة العربية . وخصائص الشيء ما انفرد به دون غيره من صفات أو مزايا . (وسيأتى تحليل لغوى لكلمة خصائص) . وخصائص كل شيء إنما تكون بحسبه ، وبحسب ما يراد له . فخصائص اللغة لابد أن تكون مزايا وصفات تخصها من حيث هى لغة . سواء أكانت فى مفرداتها من حيث الغزارة وحسن التأليف مثلا ، أم فى معانيها من حيث دقة التعبير أو علاقة التناسب بين الألفاظ والمعانى ، أم فى الأساليب من حيث إحكام التركيب ، ومن حيث سعة التصرف ، والقدرة على ملاحقة وجوه المعانى ، ودرجاتها .

والأئمة الذين ذكروا للغة العربية خصائص عددوها ونوهوا بها كانوا يقصدون — ولا شك — ما تعنيه كلمة « خصائص » تلك ، وهى انفراد الشيء بما لا يوجد فى غيره ، فهم يعنون بخصائص اللغة العربية الأمور (المستحسنة) التى تنفرد بها اللغة العربية ، ولا توجد فى غيرها من اللغات .

وهذا الذى يعنونه بعبارة « خصائص اللغة العربية » له جانبان .

تلك الأمور التى نسبت إلى العربية ، ودعوى اختصاص العربية بها .

والجانبان يحتاجان إلى دراسة . أما الجانب الأول فلتفصيل تلك الأمور أو المزات اللغوية التى نسبت إلى العربية مع بيان وجه استحسانها ، لأن جمهور ماقالوه عنها إما مجمل غاية الإجمال لايتجاوز الحكم المرسل بأن العربية « أوسع اللغات» أو « أحسنها تأليفاً » أو « اختصت بالإعراب» مثلا ، وإما محدود التفصيل جداً بحيث يتمثل تفصيله فى صورة مثال أو أمثلة محدودة أو منتشرة هنا وهناك .

— وغير خاف أن تفصيل ما توصف به العربية — بصرف النظر عن كونه خاصاً بالعربية أو غير خاص بها — مهم وضرورى لكل عربى ودارس للعربية ، لأنه تأصيل لهذه الصفات ، ولأنه يزيد فى التعريف باللغة وبمعالمها ، وقد يساعد فى فقهها . ثم إنه فى آخر الأمر يؤسس لتقويم هذه اللغة وإبراز ما يزيد فى الاعتزاز بها .

— وأما الجانب الآخر وهو دعوى انفراد العربية أو اختصاصها بتلك الصفات فهو يحتاج تحقيقاً يتبين منه مدى صدق هذه الدعوى ، ومن بدهيات الأمر أن هذا التحقيق لايمكن أن يتم بصورة علمية يعترف بها إلا بعقد معارضة واضحة وكاملة بين العربية وغيرها فى كل نقطة قيل باختصاص العربية بها . وهذا يتطلب معرفة محيطة وفاقهة بأشهر اللغات غير العربية وأوسعها على الأقل — مع الإحاطة باللغة العربية وفقهها أيضاً .

ولما كان الجمع بين العلم المحيط الفاقه باللغة العربية والعلم المحيط الفاقه بغيرها معاً ربما لايتاح ، أو لا تتاح ظروف استثماره إن وجد ، فقد رأيت أنه من حق العربية أن أستثمر ما أتيح لى من فقه فيها أرجو أن يكون كافياً ، ومن معرفة وإلمام لا بأس بهما ببعض اللغات الأخرى(١) — مع توفر معلومات

---

(١) المؤلف درس الإنجليزية والفرنسية واللاتينية والفارسية والتركية دراسة وسعية . ويجيد منها الإنجليزية فحسب .

مفيدة عن تلك اللغات بشأن بعض النقاط التى تناولتها موضوعات الخصائص .
كما أننى أرى أنه من التراخى والتهاون فى حق العلم ، ومن الغبن القبيح للعربية أيضاً أن نغفل الجانب الأول — وهو جانب تفصيل الخصائص المقول بها ، وشرحها شرحاً يوضح حقيقتها — رغم ثمراته الطيبة التى أشرنا إليها من قبل بالنسبة للعربية — انتظاراً لإحاطة باللغات كلها لن تتاح غالباً ، أو تعللا بأن بعض المعلومات التى تمكن من المقابلة بين العربية وغيرها غير متاحة هنا أو هناك .

● وهذا كله — أعنى

— تفصيل ما نسبته هذه الخصائص إلى اللغة العربية ، وشرحه ، وبيان مدى تحققه فى العربية ، ووجه استحسانه .

— ثم تحقيق دعوى الاختصاص . وذلك بالمقابلة بين العربية وغيرها بشأن موضوعات الخصائص ، وفى حدود المتاح من المعرفة والمعلومات عن اللغات الأخرى .

— هو موضوع هذا الكتاب .

— ولما كانت دراسة الخصائص هذه هى دراسة موازنة (أى مقارنة) بين العربية وغيرها فى موضوعات تلك الخصائص ، فقد أحسست أنه يتحتم أن أوفى هذه الخصائص فى جانبها العربى كل حقها شرحاً وتحقيقاً وتأصيلا ، حتى لا يجرّ التخفف أو الاقتصاد أو الإحالة فى بيان مدى تحقق أى من الخصائص فى العربية إلى خذلانها ببخس قدرها فى موقف الموازنة بينها وبين غيرها .

وسيرى القارىء — إن شاء الله تعالى — أنى لم أدخر وسعاً فى تفصيل الجانب العربى من هذه الخصائص وبيان مدى تحققه فى اللغة بما يطيقه جهد فردى له ظروفه .

كما سيرى — إن شاء الله تعالى — أنى التزمت الموقف العادل المنصف عند معارضة العربية بغيرها ، وأنى لم أصدر أحكاماً جزافية بشأن ما أرى أنه يعتمد على الفقه الواسع للغات الأخرى ، أو أن المعلومات التى يمكن أن تقوم عليها أحكام غير كافية .

وقد بدأت الكتاب بثلاثة تمهيدات :

الأول : تحليل لغوى لكلمة « خصائص » . وذلك نظراً لأن هذا اللفظ لم يذكر ، ولم يبين مفرده فى أمهات المعاجم اللغوية العربية .

والثانى : جمع لما نسبه الأئمة إلى العربية من الخصائص — مع تنسيقها وترتيبها . وذلك لأن الكثير مما ذكروه من هذه الخصائص جاء شذوراً متناثرة من موضوعات شتى ، فكان من اللازم أن تجمع وتنسق منثوراتها فى موضوعات متكاملة ، ثم ترتب ، ليجرى الأمر عند معالجتها فى الكتاب على ذلك الترتيب .

وأما التمهيد الثالث : فقد جعلته لموضوع تفضيل اللغة العربية على سائر اللغات . لأن هذا الموضوع وثيق الصلة تماماً بموضوع الخصائص — حيث يمكن اعتداد الخصائص تفصيلا له . ولكن طبيعته ، وما يقتضيه من معالجة تختلفان عن طبيعة الخصائص ومعالجتها اللغوية البحتة . لذلك أفردته وجعلت له التمهيد الثالث ، ليكون قبل الخصائص كالتقديم والإجمال لها .

ثم تناولت الخصائص بالدراسة بحسب ترتيبها فى التمهيد الثانى .

وأرجو أن أكون — بهذا الكتاب — قد وفقت إلى استنقاذ تلك الخصائص من بين أطواء الفخر المستنيم ، إلى أضواء الاعتزاز اليقظ .

وأسأل الله عز وجل أن يتم فضله ونعمته بدوام النفع بهذا الكتاب . اللهم آمين .

وقبل أن أختم هذه المقدمة فإنني أستدرك هنا حقاً لابني البار الفاضل الأستاذ إبراهيم صبري راشد ، لأسجل شكري وتقديري لما بذل من وقت وجهد ثمينين في القيام على طبع هذا الكتاب ، وكتابيّ الآخرين « الاستدراك على المعاجم العربية » و « الاحتجاج بالشعر في اللغة » وتصحيح مسوّدات الطبع للكتب الثلاثة . جزاه الله خيراً ، ووفقه في مسيرته العلمية كل التوفيق . اللهم آمين .

والحمد لله رب العالمين .

أ.د. محمد حسن حسن جبل
كلية اللغة العربية بالمنصورة ـ جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بمكة المكرمة ـ
جامعة أم القرى

طنطا في ١٥ ذي الحجة سنة ١٤٠٩ هـ
٢٠ من أغسطس سنة ١٩٨٩ م

التمهيد الأول . تحليل لغوي لكلمة خصائص

لم تذكر كلمة « خصائص » ، ولا مفردها القياسي في أمهات المعاجم العربية (١) .

وجاء في اللسان عن فعل تركيبها ومعناه : « خصه بالشيء يخُصه خَصّاً ، وخُصوصاً ، وخَصوصية ، وخُصوصية (أي بفتح الخاء وضمها) والفتح أفصح ، وخِصِّيصى ، وخَصَّصه ، واختصه : أفرده به دون غيره . ويقال اختص فلان بالأمر ، وتخصص له : إذا انفرد ... والاسم الخَصوصية ، والخُصوصية ، والخِصِّيَّة (هذه بكسرتين والصاد مشددة) والخاصة ، والخِصِّيصَى — وهي تمد وتقصر (٢) أ ه المراد فخصائص الشيء — أخذا من هذا — هي ما ينفرد به دون سائر جنسه .

— وأقدم ما عثرت عليه من استعمال كلمة « خصائص » ماجاء في الحيوان للجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ) أكثر من مرة (٣) ، ثم استعملها الإمام النسائي المحدث (أحمد بن شعيب — المتوفى ٣٠٣ هـ) — عنواناً لكتاب ألفه

---

(١) انظر تركيب (خصص) في معاجم : العين ، والبارع ، واللسان ، وديوان الأدب ، والمجمل ، والمقاييس ، وأساس البلاغة ، والمغرب في ترتيب المعرب ، والتكملة للصغاني ، والقاموس ، وبصائر ذوي التمييز ، وتاج العروس ، وغريب الحديث لأبي عبيد ، ولابن قتيبة ، وللحربي (المجلدة الخامسة منه) ، وللخطابي، والغريبين للهروي ، والمفردات للراغب ، والفائق للزمخشري ، والمجموع المغيث لأبي موسى الأصفهاني ، وإصلاح المنطق لابن السكيت . . . حيث لا توجد كلمة خصائص ولا مفردها القياسي في أي منها .

(٢) لسان العرب (خصص) .

(٣) ستأتي نصوص الجاحظ .

فى بعض مناقب علىّ — كرم الله وجهه — سماه « خصائص علىّ » ، قال عن سبب تأليفه إياه: « دخلنا دمشق والمنحرف عن علىّ بها كثير ، فصنفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله »(١) اهـ . ثم استعملها الإمام أبو الفتح عثمان بن جنى (٣٩٢هـ) فى عنوان كتابه الشهير «الخصائص» وفى داخله(٢) ، واستعملها الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) فى أحد أبواب كتابه « الصاحبى »(٣) .

وكذلك فعل الثعالبى(٤) (٤٣٠ هـ) ، واستعملها أيضاً الحريرى (٥١٦ هـ) فى درة الغواص(٥) ، والزمخشرى(٦) (٥٣٨ هـ) . والأرجح أن هناك آخرين استعملوها وما منهم من ذكر مفردها . وقال الشدياق فى نقده للمعاجم: « وتمام الغرابة أنى لم أجد فى هذه الكتب (يعنى المعاجم) الخصيصة مفرد الخصائص ، وهى فى كلام أبى تمام وغيره ، وحسبك تأليف ابن فارس وابن جنى فى خصائص اللغة(٧) اهـ .

— وأرى أن عرض النصوص التى ذكر فيها الجاحظ — ثم غيره — كلمة « خصائص » قد تساعد على كشف مفردها . وهذه نصوص الجاحظ :

(أ) « إن التَرجُمان لا يؤدى أبداً ما قال الحكيم على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ، ودقائق اختصاراته »(٨) .

(ب) « ولولا أن ناساً من كل جيل ، وخصائص من كل أمة ، يلهجون ويَكْلَفون بتعرف معانى آخرين لدرست»(٩) .

---

(١) انظر تهذيب خصائص الإمام على ص ١٠ حققه وخرجه أبو اسحاق الجوينى .

(٢) انظر الخصائص ١/١ ، ٢/١٢١ .

(٣) انظر الصاحبى (صقر) ٤٤٦ — ٤٤٧ .

(٤) انظر فقه اللغة وسر العربية (السقا وزميلاه /ط ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م) ص ٣٧٤ .

(٥) انظر الدرة (أبو الفضل) ص ٣١ ، ولم تشرح فى كشف الطرة (ط ١٣٠١هـ) ص ٤٢ — ٤٣ .

(٦) سيأتى نص كلام الزمخشرى .

(٧) الجاسوس على القاموس ٩٢ .

(٨) الحيوان ١/٧٥ — ٧٦ .

(٩) الحيوان ١/٢٤١

(ج) وهنا نص مطول يقتضي البحث عرضه كله . قال بشأن إذابة جوف الظليم للحجارة :

« ومن زعم أن جوف الظليم إنما يذيب الحجارة بقيظ الحرارة فقد أخطأ . ولكن لابد من مقدار للحرارة ونحو غرائز أخر ، وخاصيات أخر .
ألا ترى أن القدور التي يوقد تحتها الأيام والليالي ، لاتذوب .

وسأدلك على أن القول في الخاصيات والمقابلات والغرائز حق . ألا ترى أن جوف الكلب والذيب يذيبان العظام ولا يذيبان نوى التمر ، ونوى التمر أرخى وألين وأضعف من العظام المصمتة . وما أكثر ما يهضم العظم . وقد يهضم العظم جوفُ الأسد وجوف الحية ، إذا ازدردت بضع اللحم بالشره والنهم ، وفيها بعض العظام . والبراذين التي تحيل أجوافُها القتَّ والتبنَ رَوْثاً ، لاتستمرىء الشعير . والإبل تقبض بأسنانها على أغصان أم غيلان ، وله شوك كصياصي البقر ، والقضبان علكة يابسة جُرْد ، وصلاب متينة ، فتستمرئها وتجعلها ثلطاً ، ولا تقوى على هضم الشعير المنقع . وليس ذلك إلا بالخصائص والمقابلات .

وقد قُدِّر كلُّ شىء لشىء . ولولا ذلك لما نفذ خرطوم البعوضة والجرجسة في جلد الفيل والجاموس ، ولما رأيت الجاموس يهرب إلى الانغماس في الماء مرةً ومرةً يتلطخ بالطين ، ومرةً يجعله أهله ربيثَ الدكان ، ولو دفعوا إليك مسلَّة شديدة المتن ، لما أدخلتها في جلد الجاموس إلا بعد التكلف ، وإلا ببعض الاعتماد .

والذى سخّر جلد الجاموس حتى انفرى وانصدع لطعنة البعوضة ، وسخر جلد الحمار لطعنة الذباب ، وسخر الحجارة لجوف الظليم ، والعظم لجوف الكلب — هو الذى سخر الصخر الصلب لأذناب الجراد إذا أرادت أن تُلقىَ بيضها ، فإنها في تلك الحال متى عقدت ذنبها في ضاحي صخرة انصدعت لها . ولو كان انصداعها من جهة الأسر ، ومن قوة الآلة ، ومن

الصلام وقوة الغمز ، لانصدعت لما هو فى الحس أشد وأقوى . ولكنه على جهة التسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك عُود الحَلْفاء ، مع دقته ورخاوته ولين انعطافه ، إذا نَبتَ فى عمق الأرض ، وتلقاه الآجُرّ والخزف الغليظ ، ثقب ذلك ، عند نباته وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقر نضير »(١) .

— وإنما نقلنا هذه النصوص — على طول بعضها لمكن تبين معناها ، والتهدى إلى مفردها .

● والمتأمل فى هـذه النصوص يرجح لديه أن « الخصائص من كل أمة » فى النص (ب) هى بمعنى الخواص الذين هم القلائل المتميزون فى المعرفة بشىء ما ، أو الصلة بشخص ما . أما الخصائص فى النص (جـ) بموضعيه فإنه استعملها بمعنى الخواص التى هى جمع خاصّة (أو خاصية — على غير قياس — كما سيأتى) . وهى ما فى الشىء من قوة مؤثرة تفرد بها فى جانب معين . وقد استعمل الجاحظ كلمة الخاصّيّات جمع خاصّية — فى موضعين بنفس المعنى الذى استعمل له الخصائص .

وأما النص (ا) فليس استعمال الخصائص فيه كبير البعد عما استعملت فيه الكلمة فى المواضع الثلاثة السابقة . فخصائص المعانى هى المعانى الخاصة الدقيقة التى يقصدها الحكيم بكلامه .

ومن جهة أخرى فإن كلمة الخصائص يمكن أن يكون مفردها خصيصة لأن فعائل يطرد جمعاً للرباعى المؤنث الذى ثالثه مدة (٢) .

ومن هنا قال ابن يعيش (٦٤٣ هـ) فى تفسيره لقول الزمخشرى « وله (يعنى الاسم) خصائص منها جواز الإسناد إليه . . . » . (قال ابن يعيش):

---

(١) الحيوان ٤/٣١٣ — ٣١٥ .

(٢) انظر شرح الرضى الشافية ٢/١٤٩ — ١٥٠ .

« الخصائص جمع خصيصة وهى تأنيث الخصيص (يعنى بوزن كبير) بمعنى الخاص ، ثم جعلت اسماً للشيء الذى يختص بالشيء ويلازمه . . » (١) .

ثم قال ابن يعيش : « ومن خواص الاسم (جواز الإسناد إليه) . . » (٢) . أى أن ابن يعيش استعمل لفظ « خواصّ » فى الموضع الذى استعمل فيه الزمخشرى كلمة « خصائص » . وهذا يتفق — جزئياً — مع قوله من قبل إن « الخصائص » جمع « خصيصة » تأنيث « الخصيص » بمعنى « الخاصّ » . وقد ذكر ابن يعيش أن « خصائص » جمع « خصيصة » فى موضع آخر من شرحه هذا(٣) . وقال بهذا المفرد للكلمة أيضاً أحمد فارس الشدياق — على ما أسلفنا (٤) .

— وليس فى « تهذيب خصائص الإمام علىّ » (٥) ما يؤخذ منه مفرد محدد للخصائص ، وكل ما هنالك أنه عُنونت عدة فصول فيه بـ « ذكر ما خُصّ به علىّ من كذا » ، « ذكر ما خَصّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً . . » (٦) وهذا التعبير تؤخذ منه الخاصّة والخصيصة على السواء .

— أما ابن جنى فإنه فى باب « تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى » من كتابه الخصائص — حلل عدة مجموعات من الأسماء التى كل مجموعة منها تستعمل تعبيراً عن معنى واحد (كالخُلُق ، والطبيعة ، والسجية الخ) فوجد أن أصل كل اسم فى مجموعة ما معناه يفضى إلى معنى الاسم الآخر أو الأسماء الأخرى فى المجموعة نفسها — وهذا هو معنى عنوان الباب ، ثم قال — بعد أن حلل ألفاظ مجموعة : « فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة » (٧) . ثم قال بعد تحليل عدة مجموعات أخر :

---

(١) شرح المفصل ١/٢٤ .
(٢) نفسه .
(٣) شرح المفصل ٧/٣ .
(٤) ذكرنا ماقاله فى أوائل هذا التمهيد ، وانظر الجاسوس ٩٢ .
(٥) انظره بتحقيق أبى إسحاق الجوينى الأثرى .
(٦) انظر السابق ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٥ .
(٧) انظر الخصائص ٢/١٢١ .

« فالتأتى والتلطف فى جمع هذه الأشياء ، وضمها ، وملاءمة ذات بينها هو خاصّ اللغة وسرها » وفى نسخة « هو خاص أمر اللغة .. »(١) فهذا قد يؤخذ منه أن الخصائص عنده جمع خاصة . وقد قال فى مقدمة كتابه « الخصائص » — ذاكراً جدوى موضوع كتابه هذا ، وقيمة ما كان يجمعه ويضمنه إياه : « هذا مع .. اعتقادى فيه أنه من أشرف ما صُنّف فى علم العرب .. ، وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة .. »(٢) فإذا صح ما أجزنا أخذه من كلامه كانت كل واحدة مما يدل على الحكمة « خاصة » من الخصائص .

- وأما ابن فارس فهو — أولا — يقصد « بالخصائص » فى الباب الذى جعل عنوانه « الخصائص » فى كتابه الصاحبى : الكلمات أو العبارات تستعمل فى مجالات أو مقامات خاصة (كالخير أو الشر ، والحسن أو القبح ، والليل أو النهار) لايجوز استعمالها فى غيرها كقولهم «مكانَكَ» أى الزم مكانك : لاتستعمل إلا فى حالة الوعيد خاصة ، ومثل ظل يفعل كذا أى لايقال « ظل » إلا إذا كان الفعل نهاراً . وهكذا(٣) . ثم إنه لم يذكر مفرد تلك الخصائص ، وكأنه عبارة أو كلمة « خاصة » بمقام أو مجال ما . وكذلك فعل الثعالبى (٤) .

- ومما يجدر ذكره هنا أن كلمة « خاصة » ذكرتها المعاجم القديمة بمعنيين فقط هما الخاصّة اسم مصدر للفعل خصّ ، وقد مرت(٥) ، والثانى الخاصّة مقابل العامّة . وهذه فى الأصل صفة لعدد من الناس لهم علاقة أو شأن خاص ، وقد جاء فى العين (حمم) تفسير للخاصة لعله أصل هذا

---

(١) نفسه ٢/١٢٥ .

(٢) الخصائص ١/١ .

(٣) انظر الصاحبى (متقر) ٤٤٦ — ٤٤٧ .

(٤) انظر فقه اللغة وسر العربية (السقا وزميلاه) ٣٧٤ .

(٥) أصلها فى المحكم ٤/٣٦٠ ومنه فى اللسان والتاج وفى الاسم الخصوصية ... والخاصة .. » .

الأستعمال : قال : « والخامّة : خاصة الرجل من أهله وولده وذوى قرابته »(١) وجاءت العبارة نفسها تقريباً فى تركيبى (حمم وسمم) فى اللسان والتاج(٢) . فخاصة الرجل تعنى أصلا الأهل والولد والأقارب . وذلك مقابل العامة . وإنما سمى خاصّة الرجل « خاصّة » ؛ لأنهم يخصونه أى يفردونه بالتبعية والولاء والتعلق لايتعلقون بغيره . . (٣) وإلى إفراد التعلق هذا يئول ما فى الحديث « بادروا بالأعمال ستا . . . وخُوَيْصَّةُ أحدكم » يعنى حادثة الموت التى تخص كل إنسان (تفرده بالقصد والوقوع ، وليست عامة كالقيامة) ، وقول أم سليم « وخُوَيْصَّتُكَ أنس » (٤) (تعنى الذى يفردك بالخدمة لايخدم أحداً غيرك) . وكلاهما تصغير خاصة . ثم من ذلك — أعنى من خاصة الرجل مثلا — قيل خاصة الحاكم ، وهم بطانته الذين يفردونه بالولاء والتبعية — أو هم سموا كذلك تشبيهاً بخاصة الرجل ، ويلزم من قربهم أن يستشاروا . والخاصة فى أمر أو علم هم الذين يفردون ذلك الأمر أو العلم بالاهتمام والمتابعة ، ويلزم من ذلك أن يكونوا أكثر الناس إحاطة بهذا الأمر أو العلم . وبذلك ترجع استعمالات لفظ الخاصة إلى خصه بمعنى أفرده بشىء .

— وأغفلت المعاجم القديمة خاصة الشىء بمعنى القوة الخفية فيه التى لها تأثير معين لايوجد فى غير ذلك الشىء من العقاقير وغيرها ، وهى معروفة شائعة بصيغة الجمع « خواص » كذا ، وهى التى ذكرها الجاحظ لكن بصيغة النسب حين ذكر أن جوف الظليم يذيب الحجارة

---

(١) العين (حمم) ٣/٣٣ .

(٢) انظرها فى التركيبين وقد جاء فى (حمم) « والحامة العامة وهى أيضاً خاصة الرجل الخ » وأصل هذه العبارة فى المحكم ٢/٢٨٥ وكلمة العامة هنا إما أنها محرفة عن السامة (بمعنى الخاصة أيضاً) وإما أنه سقط لفظ « ضد » أو « خلاف » قبلها .

(٣) جاء فى التهذيب ٦/٥٥٢ « والخاصة الذى اختصصته لنفسك » ونحوه فى المحكم ٤/٣٦٠ وهذا يعنى أن « الخاصة » وهى على صيغة اسم الفاعل جاءت هنا على معنى اسم المفعول (المخصوص) وهو خلاف الأصل ، والذى أولناه به يحملها على الأصل ، وليس فيه تكلف .

(٤) انظر الحديثين والتعليق عليهما فى التاج واللسان .

بالخاصيات لا بالحرارة وحدها ، وجوف الكلب والذئب يذيب العظام بالخاصيات ولا يذيب النوى . وقد ذكرنا (الخاصّة والخاصية) فى كليات أبى البقاء(١) (١٠٩٤ هـ) ثم فى محيط المحيط وأقرب الموارد(٢) ، ثم فى المعجم الوسيط حيث قال: « وخاصة الشيء ما يختص به دون غيره، ج خواص ، وخواص العقاقير قواها التى تؤثر فى الأجسام ». ثم ذكر أن الخاصّية نسبة إلى الخاصّة * .

● وبمراجعة ما سبق يتبين :

(ا) أنه قد يؤخذ من كلام الجاحظ أن الخصائص واحدها خاصة ، لأنه استعملها بمعنى الخواص فى قوله « وخصائص من كل أمة » . وقريب من هذا ما فى قوله « إن الترجمان لا يؤدى أبداً ما قال الحكيم على خصائص معانيه » .

(ب) أنه استعمل لفظ الخاصيّات فى موضع الخصائص — كما وضحنا من قبل ، وهذا فيه إضافتان : الأولى أنه استعمل لفظ خاصية — وربما

(١) الكليات (ط بولاق) ١٧٤ .

(٢) انظر محيط المحيط لبطرس البستانى وكذلك قطر المحيط له وقد ذكر فى هذا خاصة فقط وأقرب الموارد لسعيد الخورى الشرتونى .

* لم يبق مما قد يطلب هنا إلا (أ) ماجاء فى المصباح عن الكسائى أن الخاص والخاصة واحد ، وقول الزمخشرى إن خاصة تستعمل للمفرد والجمع هو خاصتى وهم خاصتى ، (ب) التاء فى خاصة . وعبارة الفيومى فى المصباح خص الشيء خصوصاً من باب قعد خلاف عم ، فهو خاص واختص مثله . والخاصة خلاف العامة — والهاء للتأكيد » . وعبارة أبى البقاء « وخاصة مصدر كعاقبة وكاذبة ضد عامة والتاء للتأنيث أو المبالغة» (الكليات ١٨٠) وعبارة أبى البقاء هذه جاءت فى محيط المحيط وأقرب الموارد، وذكر محيط المحيط عبارة أخرى «الخاصة ضد العامة كالخاص ، والتاء ليست للتأنيث بل للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما فى لفظ الحقيقة أى أن الخاصة ليست مؤنث الخاص ... » . والذى أراه فى ضوء استعمال خاصة المفرد أيضاً أن النقل من الوصفية إلى الاسمية متحقق فى خاصة التى هى اسم بمصدر والتى هى قوة مؤثرة ، والخاصة ضد العامة فيها — مع هذا — معنى الجماعة كالسابلة والواردة (انظر شرح المفصل ٥/٩٩ — ١٠٠) فالتاء فيها لتأنيث الجماعة أيضاً . وخاصة فى قوله هو خاصتى تاؤها للنقل أو المبالغة أيضاً .

لأول مرة ، والثانية أنه قد يؤخذ من استعماله الخاصيّات في موضع الخصائص أن مفرد الخصائص عنده خاصيّة أيضاً .

(ج) أنه قد يؤخذ من كلام ابن جني أيضاً أن مفرد الخصائص خاصّة . وفي هذه الحالة فإنها تكون نقلت من الوصفية في قولهم إن هذا الأمر سمة أو ميزة أو طبيعة خاصة للغة — إلى الاسمية أي صارت اسماً لتلك الميزة .

(د) أن المفرد القياسي لكلمة الخصائص بمعنى ما تنفرد به (اللغة العربية) هو الخصيصة . ولكن ابن يعيش لم يسوغه من جهة المعنى إلا بإرجاعه إلى الخاص ؛ إذ قال الخصائص جمع خصيصة ، وهي تأنيث الخصيص بمعنى الخاص . وابن يعيش حجة ، ولكننا نسجل فقط أن الخصيص والخصيصة لم يذكرا في أي من دواوين اللغة السابقة على ابن يعيش — حسب ما أدى إليه البحث .

كذلك نسترعي الانتباه إلى أن ابن يعيش استعمل كلمة خواصّ في الموضع الذي استعمل فيه الزمخشري لفظ الخصائص . وهذا قد يؤخذ منه ميله إلى استعمال « الخاصة » بدل الخصيصة .

— ثم نضيف أنه : جاء في نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض للشهاب الخفاجي : « والخصائص . . ما يختص به ولا يتعداه لغيره جمع خاصّة ، أو خاصّية — على كلام فيه في شرح المفتاح »(١) اهـ . وجاء في الكليات : « والخواص اسم جمع الخاصية لا جمع الخاصية لأن جمعها خاصيات »(٢) . ونسب لين E. W. LANE في معجمه إلى أبي البقاء أنه ذكر خصائص أيضاً جمعاً لخاصية(٣) ، ولكني لم أجدها في الكليات .

---

(١) نسيم الرياض ١/٣٤ .

(٢) الكليات (بولاق) ١٧٤ .

(٣) معجم لين : مد القاموس ٢/٧٤٧ .

وفى معجم دوزى خضيصة وتجمع على خصائص وفسرها بالخاصة والخاصية(١) : ولكنه لم يذكر مصدر كلامه هذا . وفى محيط المحيط للبستانى، وأقرب الموارد للشرتونى أن الخاصية جمعها خاصيات وخصائص على غير قياس (٢) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وبهذا كله يتبين أنه قيل فى مفرد الخصائص بثلاثة أقوال : أ — الخاصّة ب — الخاصّيّة ج — الخصيصة . وقد تبين أساس كل قول .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

— وقد جرى المعجم الوسيط على ما قال به ابن يعيش ؛ إذ جاء فيه «الخصيصة الصفة التى تميز الشيء وتحدده . ج : خصائص (وذكر الخصائص مجمعاً للخصاصة الفرجة ونحوها . وهذا غير المعنى الذى نعالجه) .

— وجاء فى أقرب الموارد أن الخصائص جمع خاصّية — (على غير قياس) ومثله فى المنجد .

— ومع ما يبدو لى من رجوح الخاصّة مفرداً للخصائص على غير قياس — إلا أننى أفضل الأخذ بما هو قياسى ، ولذا جريت هنا على أن المفرد خصيصة تبعاً لابن يعيش ، ولعل هذا هو أساس أخذ المعجم الوسيط بقول ابن يعيش أيضاً .

---

(١) معجم دوزى : تكملة المعاجم العربية (ترجمة د. النعيمى) ٤/١٠٧ .
(٢) انظر المعجمين المذكورين تركيب (خصص) .

التمهيد الثاني : إجمال الخصائص

يحسن أن نقدم بياناً بالخصائص التي يتناولها هذا الكتاب . وسنذكر من نصوص الأئمة القائلين بالخصائص أجمع نصوصهم لها ثم نذكرها منسقة ومرتبة .

ولعل من أكثر النصوص جمعاً للخصائص ما سنذكره للجاحظ وابن قتيبة وابن فارس :

يقول الجاحظ : « ولا بد أن نذكر . . . الدليل على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثال التي ضربت فيها أجود وأسير . (وأن نذكر) الدليل على أن البديهة مقصورة عليها ، وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذى تسميه الروم والفرس شعراً . . »(١) وذكر فى موضع آخر أن « البديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان »(٢) . وهو يقصد بالبديع ما سمى البيان (المجاز بأنواعه من تشبيه واستعارة . . الخ) .

أما ابن قتيبة فقد ذكر من خصائص العربية البيان ، وزيادة حروف المبانى فى العربية عنها فى غيرها ، والإعراب ، والشعر ، والعروض ، وتغير بعض حروف الكلمة بقدر ما تغير من مدلولها نحو النضح ، والنضخ — وهو

---

(١) انظر البيان والتبيين ١/٣٨٣ — ٣٨٥ .

(٢) نفسه ٤/٥٥ .

ما سماه ابن جنى التعاقب ، وارتباط الدلالة بالصيغة فى نحو ضُحْكة بالضم ، وضُحَكة بضم ففتح ، وفى نحو مُبَطَّن ، وبَطِين ومبطان ، وبَطِن (كحذر) ، ومبطون(١) .

وقد تبعه ابن فارس فى أكثر ذلك ، وأضاف الترادف ، كما أضاف اختصاص العرب بحفظ الأنساب — وليست وثيقة الصلة بالعربية ، إلا إن احتسبناها تمثل سنداً للغة . ثم ذكر كثيراً من الخصائص الجزئية التى سماها سنن العرب منثورة فى عشرات الأبواب(٢) .

وسبق الإمام الشافعى فذكر من خصائص العربية كثرة ألفاظها ، وسعة تصرفها . وأضاف الفارابى حسن التأليف .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وهذا بيان منسق ومرتب بماذكر الأئمة من الخصائص ، وأهم مواضع ذكرها .

---

(١) انظر تأويل مشكل القرآن ١٢ — ٣٢ ثم ٨٦ — ٢٩٨ .
(٢) انظر الصاحبى (صقر) ٨٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ٣٠٩ ، ٣٢١ ... الخ .

ترتيب خصائص العربية التي ذكرها الأئمة

الخصيصة	من ذكرها من الأئمة	الكتاب الذي ذكرها فيه
١ ــ البيان والخصائص المفصلة له :	الإمام الشافعي الجاحظ ابن قتيبة ابن فارس السرقسطي	(إجمالا مع ذكر بعض عناصره) في الرسالة ٤٢ ، ٥٠ ــ ٧٣ البيان والتبيين ٣٨٤/١ تأويل مشكل القرآن ١٢ الصاحبي ١٦ كتاب الأفعال ٥١/١
٢ ــ كثرة حروف المباني	ابن قتيبة ابن سنان الخفاجي	تأويل مشكل القرآن ١٤ سر الفصاحة ٥٦ ــ ٥٧
٣ ــ حسن تأليف حروف المباني في الكلم	إسحاق بن إبراهيم الفارابي ابن فارس ابن سنان الخفاجي	ديوان الأدب ٧٢/١ الصاحبي ٢٠ سر الفصاحة ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٦ ــ ٦٧ ، ٧٥ ــ ٧٧

(تابع) ترتيب خصائص العربية التي ذكرها الأئمة

الخصيصة	من ذكرها من الأئمة	الكتاب الذي ذكرها فيه
٤ — التفوق في كثرة المفردات	الإمام الشافعي	الرسالة ٤٢
	الجاحظ	البيان والتبيين ٣٨٤/١ (بإجمال)
	ابن فارس	الصاحبي ٢٦
	ابن سنان	سر الفصاحة ٤٨ — ٥٠
٥ — سعة التصرف بعامة (ويشمل سعة التصرف في المفردات وفي الأساليب كما يشمل المجازات)	الإمام الشافعي	الرسالة ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٢ — ٧٣
	الجاحظ	البيان والتبيين ٣٨٤/١ ، ٥٥/٤ ، فقه اللغة للثعالبي ٣٦٠
	ابن قتيبة	تأويل مشكل القرآن ١٢ — ١٣ ، ٢٠ — ٢١ ثم سائر الكتاب
	ابن فارس	الصاحبي ١٦ — ١٧ ، ٢١ ، ١١٤ — ١١٧ ، ٢٨٩ إلى آخر الكتاب
	ابن سنان	سر الفصاحة ٤٨ — ٥٠
	أبو منصور الثعالبي	فقه اللغة وسر العربية ٣٢٢ إلى آخر الكتاب
٦ — صعوبة الترجمة نتيجة لغزارة المفردات وسعة التصرف)	ابن قتيبة	تأويل مشكل القرآن ٢١ — ٢٢
	ابن فارس	الصاحبي ١٧
	ابن سنان	سر الفصاحة ٤٨ — ٤٩

(تابع) ترتيب خصائص العربية التي ذكرها الأئمة

الخصيصة	من ذكرها من الأئمة	الكتاب التي ذكرها فيه
٧ — الإعراب	ابن قتيبة اسحاق بن ابراهيم الفارابي ابن فارس	تأويل مشكل القرآن ١٤ ديوان الأدب ٧٢/١ الصاحبي ٧٦ (وانظر أيضاً ٥٥ ، ٣٠٩ — ٣١٠)
٨ — الشعر	الجاحظ ابن قتيبة ابن فارس	البيان والتبيين ٣٨٤/١ تأويل مشكل القرآن ١٧ — ١٨ الصاحبي ٧٧ (وله فصل عنه في ٤٦٥ — ٤٧١)
٩ — (العروض)	الجاحظ ابن قتيبة ابن فارس	البيان والتبيين ٣٨٤/١ (بإجمال) تأويل مشكل القرآن ١٨ — ٢٠ (تبعاً للشعر) الصاحبي ٧٧ .
١٠ — ارتباط الدلالة بالصيغة	ابن قتيبة ابن فارس	تأويل مشكل القرآن ١٥ — ١٧ (سياقاً) الصاحبي ٣٠٩ — ٣١١

(تابع) ترتيب خصائص اللغة التى ذكرها الأئمة

الخصيصة	من ذكرها من الأئمة	الكتاب الذى ذكرها فيه
١١ – مناسبة الأصوات للمعانى	ابن قتيبة ابن جنى	تأويل مشكل القرآن ١٦ (سياقاً) الخصائص ٢/١٤٥
١٢ – (سائر ما بوبه ابن جنى)	ابن جنى	الخصائص فى أبواب المعانى وغيرها حيث يلفت النظر دائماً إلى شرف العربية وإحكامها وسحرها مما يؤدى معنى اختصاصها بما فى تلك الأبواب . انظر مثلا الخصائص ٢/١١٣ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢ الخ)
١٣ – منثورات سنن العرب	ابن قتيبة ابن فارس الثعالبى	تأويل مشكل القرآن ٨٦ – ٢٩٨ الصاحبى ٣٢١ إلى آخر الكتاب فقه اللغة وسر العربية (كثير مما فى قسم سر العربية) .

التمهيد الثالث : تفضيل اللغة العربية على سائر اللغات

موضوع تفضيل العربية على غيرها هذا وثيق الصلة بموضوع الخصائص بل تكاد الخصائص تكون بياناً وتفصيلا له . ومعتمد هذا التفضيل هو النقل ، وسنأتي منه بما يتاح ... ثم نجتزىء بما يتقرر في تفصيل الخصائص تفهماً وتصديقاً (عقلياً) لهذا التفضيل النقلي .

أولا : ما جاء في القرآن الكريم مما يؤخذ منه تفضيل العربية

جاءت في القرآن الكريم آيات تتحدث عن اللغة العربية . ونحن نلحظ أن اثنتين من تلك الآيات ربطتا بين العربية وبين صفة الإبانة :

فقال تعالى : « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين »(١) وقال تعالى : « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ، وهذا لسان عربي مبين »(٢) .

وإذا كان البيان هو لب اللغة وجوهر ماهيتها ، وبه عبر القرآن عنها في قوله تعالى : « الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان »(٣) فإن وصف اللغة بالبيان يعني بلوغها تمام الغاية من وظيفتها . أي أنه وصف بالكمال وهو أساس التفضيل . وقد أوجز ابن فارس ذاك الذى ذكرناه ثم قال : « فلما خص جل ثناؤه اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه ، وواقعة دونه »(٤) .

---

(١) الشعراء ١٩٣ – ١٩٥ ، والضمير في « به » القرآن الكريم .
(٢) النحل ١٠٣ . (٣) أول الرحمن .
(٤) انظر الصاحبي ١٦ .

— ونلحظ كذلك أن هناك آيتين ربطتا بين عربية القرآن وبين العقل :

قال تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »(١) وقال : « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون »(٢) والآيتان وإن جاز أن يحمل ما فيهما من الربط بين عربية القرآن وبين العقل على أن القوم عرب أنزل إليهم القرآن عربياً ليستطيعوا أن يعقلوه ، فإن هناك ما يقرب حمله على إكساب التعقل وزيادة القدرة العقلية . وذلك أن وصفها بالإبانة يعنى بلوغها الكمال فى دقة التعبير ولمح لطائف المعانى مما يترتب عليه دقة الفهم وعمقه واتساع آماده . وكثرة ممارسة هذا تربى الفطنة . ويؤيد هذا الفهم والتفسير ما جاء أن عمر رضى الله عنه كتب إلى أبى موسى : « خذ الناس بالعربية فإنه تزيد فى العقل ، ويثبت المروءة »(٣) . ولا شك أن اللغة التى تزيد فى العقل ويؤخذ هذا مما ذكر عنها فى القرآن الكريم — تفضيل غيرها ، وتنويه القرآن الكريم بذلك (على هذا التفسير) يجعل فضلها هذا فوق الجدل .

— وبهذا وذاك يتضح ما تدل عليه الآيات من فضل للعربية وتفضيل لها .

ثانيا : ما جاء فى الحديث الشريف من تفضيل العربية

فمن ذلك ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم : « أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة » قال ابن حجر عن هذا الحديث إن إسناده حسن (٤) . ورواية ابن سلام فى الطبقات لهذا الحديث —

---

(١) س يوسف ٢ .

(٢) س الزخرف ٣ .

(٣) لسان العرب (مرأ) .

(٤) كنز العمال ١١ / ٤٩٠ وقال (الشيرازى فى الألقاب عن على) يعنى أخرجه الشيرازى .. وقوله عن على أى أن عليا كرم الله وجهه رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم فقد جرى المتقى مؤلف كنز العمال على الاجتزاء بذكر الصحابى الذى روى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أما الحكم بحسن سند الحديث فقد نقله مصحح الكنز عن المناوى فى الفيض ٣/ ٩٢ عن ابن حجر .

يعد أن ظن ولم يقطع بأنه مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم « أول من تكلم بالعربية ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما »(١) والرواية الأولى مرفوعة دون شك . وقد جاء السيوطى لها بسند متصل صريح الرفع أيضاً(٢) .

— وقد دافع الجاحظ عما يقرره الحديث الأول ، واحتج له فى باب خاص عنوانه « القول فى إنطاق الله عز وجل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين ، وعلى غير التدريب والتدريج ، وكيف صار عربياً أعجمى الأبوين »(٣) ونقل عن أبى عبيدة روايته للحديث المذكور بلفظ « أول من فتق . . الخ » عن مسمع . . عن محمد بن على بن الحسين عن آبائه(٤) . كما نقل عنه تصديق يونس بن حبيب لمسمع وقوله هكذا حدثنى نصر بن طريف(٥) . وقد جاء السيوطى فى المزهر برواية ابن سلام ثم قال : « وأخرج الحاكم فى المستدرك ، وصححه ، والبيهقى فى شعب الإيمان من طريق سفيان الثورى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا « قرآناً عربياً لقوم يعلمون » ثم قال : « ألهم إسماعيل هذا اللسان العربى إلهاما »(٦) وواضح أن معنى حديث الإلهام هذا هو معنى حديث فتق لسان إسماعيل ، وحديث تكلمه بالعربية مع نسيانه لسان أبيه . وقد افتتح الزمخشرى خطبة الفائق بقوله « الحمد لله الذى فتق لسان الذبيح ، بالعربية البينة والخطاب الفصيح ، وتولاه بأثرة التقدم فى النطق باللغة التى هى أفصح اللغات . . » (٧) فالحديث معترف به ، محكوم بحسنه وصحته . وفى هذا كفاية .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١ / ٩ .

(٢) انظر المزهر ١ / ٣٤ بلفظ « المتينة » ولعله تصحيف .

(٣) البيان والتبيين ٣ / ٢٩٠ .

(٤) نفسه . (٥) نفسه .

(٦) المزهر ١/٣٢ — ٣٣ وحديث الإلهام هذا فى كنز العمال ١١/٤٩٠ أيضاً .

(٧) الفائق فى غريب الحديث الزمخشرى (أبو الفضل والبجاوى) ١/١١ .

ولا يخفى أن فتق لسان نبي من الأنبياء بلغة ما ، وإلهامه إياها فيه من التفضيل للغة بقدر ما للنبي من الفضل على غير النبي ، بالإضافة إلى أنه يؤخذ منه أن تلك اللغة من عند الله .

وهذا تفضيل لايحاط بمداه .

ومن ذلك أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عُلِّمَهَا بالوحي :

جاء فى الجامع الكبير أن ابن عساكر أخرج عن أنس أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : يارسول الله مالك أفصحنا لساناً وأبيننا بياناً ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إن العربية اندرست فجاءنى بها جبريل غضة طرية كما شق على لسان إسماعيل عليه السلام »(١) . وجاء هذا الحديث والسؤال الذى استدعاه بأكثر من صورة : فى الجامع الكبير أن أبا بكر رضي الله عنه قال : يارسول الله . لقد طفت فى العرب ، وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدّبك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أدبنى ربى ، ونشأت فى بنى سعد» (٢) وجاء فى حديث آخر عن على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » (٣) (التأديب : التعليم) ونقل السيوطى فى المزهر ما رواه أبو أحمد الغطريف بسنده أن عمر بن الخطاب قال : يارسول الله . مالك أفصحنا — ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ . قال : كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل عليه السلام فَحَفَّظَنِيها فحفظتها » . قال أخرجه ابن عساكر فى تاريخه(٤) . وفى رواية مفصلة أوردها السيوطى عن البيهقى قيل له صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ما أفصحك ! ما رأينا الذى هو أعرب منك . فقال صلى الله عليه وسلم « حُقَّ لى . فإنما أنزل القرآن علىّ بلسان عربى مبين »(٥) .

---

(١) الجامع الكبير ١/٢٠٧ ، وكنز العمال ١١/٤٩٠ .
(٢) الجامع الكبير ١/٢٩ . (٣) نفسه .
(٤) انظر المزهر ١/٣٤ — ٣٥
(٥) انظر المزهر ١/٣٥ .

— وروى عنه صلى الله عليه وسلم : أنه قال : «جاءني جبريل فلقنني لغة أبي إسماعيل »(١) وقال : « مُثِّلت لي أمتي في الماء والطين ، وعلمت الأسماء كلها ، كما علم آدم الأسماء كلها »(٢) .

— ونحن نلحظ أن هذه الأحاديث فيها تأكيد للأحاديث السابقة الخاصة بفتق لسان إسماعيل بالعربية المبينة ، وهذا صريح في رواية أنس ، كما يؤخذ من نسبة العربية إلى إسماعيل . وقد أسلفنا أن معنى هذا الحديث حكم له بالصحة والحسن .

— أما الجانب الخاص بوحي العربية إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإننا إذا نظرنا إلى المعنى — تاركين للمتخصصين في الحديث الحكم على درجات هذه الأحاديث — فسيتضح لنا أن تنزيل القرآن الكريم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم « بلسان عربي مبين » ، وضرورة وعيه صلى الله عليه وسلم بكل أسرار ما أوحي إليه ونُزِّل على قلبه ، وتكليفه بتبليغ رسالة الله المضمنة فيه كل هذا يقضي بالقول بوحي اللغة إلى النبي صلى الله عليه وسلم استنباطاً لو لم ترد به رواية ، لتنكشف له كل مخبآت التعبيرات القرآنية مهما لطفت ، ليبلِّغ منها ما شاء الله تعالى .

— وواضح أن إحياء ما درس من اللغة ، وإيحاءها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رعاية من الله عزوجل لهذه اللغة تعني تفضيلها على غيرها بلا مراء .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

— ومن ذلك ماروى من أن العربية لغة أهل الجنة ، وأنها كانت لسان آدم عليه السلام في الجنة . وقد جاءت بذلك روايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما(٣) ليست قوية السند ،

(١) كنز العمال ١١/ ٤٩٠ (الديلمي عن ابن عمر) .

(٢) المزهر ١/ ٣٥ (أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي رافع) .

(٣) انظر المزهر ١/ ٣٠ حيث الرواية عن ابن عباس ، وقول لعبد الملك بن [illegible]

ولكن نوه بها الفارابي في ديوان الأدب(١) والسرقسطي في كتاب الأفعال(٢) والإمام ابن منظور في مقدمة معجمه العظيم لسان العرب(٣) وإذا صح هذا فهو تأصيل للعربية وتجلة تتقاصر دونه كل اللغات . .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

ومنها ما روى أنه لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه(٥) . وأيا كان الأمر في ما لم يثبت من تلك الروايات فإن نزول القرآن الكريم وهو خاتم الكتب السماوية بهذا اللسان العربي المبين ، وعلى سبيل الإعجاز به — هو منقبة له لاتدانيها منقبة في مجال اللغات ، وهي منقبة كفيلة بتوثيق كل فضل ينسب إلى هذا اللسان المبين .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

الثالث : ما جاء عن الأئمة بشأن تفضيل العربية على غيرها

لقد شاع القول بذلك التفضيل عند القدماء ، وأقامه كثير منهم على معايير لغوية ، وأقامه آخرون على معايير نقلية أو دينية — كالتي أسلفناها — غير جاحدين أو معرضين عما قررته المعايير اللغوية .

فهذا الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤ هـ) صاحب المذهب الفقهي المشهور يقول : «فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض ، فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع . وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي ، ولا يجوز — والله أعلم — أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف

= الفقيه المحدث المؤرخ الأندلسي (٢٣٨هـ) ، وانظر الجامع الكبير ١/٢٣ حيث حديث «أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي » وقد طعن فيه الذهبي وابن الجوزي بالوضع .

(١) ديوان الأدب ١/٧٠ — ٧٣ .

(٢) الأفعال ١/٥٠ .

(٣) ذكر في المقدمة حديث «أحبوا العرب لثلاث » انظر التعليق رقم (٣) بالصفحة السابقة .

(٤) انظر الإتقان (أبو الفضل) ٢/١٦٣ أخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري .

والنحل»(١) . ثم يقول : «وما ازداد من العلم باللسان الذى جعل الله لسان من ختم به نبوته ، وأنزل به آخر كتبه كان خيراً له »(٢) .

وبعد تفضيله هذا اللسان العربى على أساس أنه لسان النبى صلى الله عليه وسلم ، وقضائه بضرورة أن يكون هو اللسان المتبوع لا التابع . وحضه على تعلمه لأنه لسان خاتم الأنبياء وآخر الكتب — يقرر فى أكثر من موضع أن « لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى»(٣) وبذلك يضع أيدينا على بعض وجوه التفضيل التى هى من الخصائص اللغوية . وهى كثرة الألفاظ أو المفردات ، وسعة المذهب أو كثرة وجوه التصرف .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

— وهذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥ هـ) يقول ، وهو بصدد ذكر ما يتطلبه الرد على الشعوبية : « ولابد من أن نذكر ... الدليل على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثال التى ضربت فيها أجود وأسير . (وأن نذكر) الدليل على أن البديهة مقصورة عليها ، وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذى تسميه الروم والفرس شعراً ... » (٤) ويقول : « والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان »(٥) .

وفى هذا الذى ذكره الجاحظ تفضيل صريح للعرب ولغتهم يتضمن كثيراً من الخصائص التى سنتناولها فى ما بعد .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

---

(١) الرسالة للإمام الشافعى تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر ص ٤٦ .

(٢) نفسه ص ٤٩ .

(٣) نفسه ص ٤٢ . ويقول فى ص ٥٠ « لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه » .

(٤) انظر البيان والتبيين ١/٣٨٣ ثم تابع القراءة لتجد النص الذى نقلناه فى الربع الأخير من ص ٣٨٤ (المتن) وأعد الكرة ليتضح سياق الكلام .

(٥) البيان والتبيين ٤/٥٥ .

— وهذا أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦ هـ) يقول : «وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب ، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات : فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة ، والبيان ، واتساع المجال ما أوتيته العرب خصيصى من الله لما أرهصه في الرسول صلى الله عليه وسلم وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب . . »(١) فنراه يشفع الكلام عن فضل القرآن بالكلام عما خص الله به لغة القرآن العربية من العارضة والبيان واتساع مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب — وهذا قريب مما قرره الشافعي ، لكن ابن قتيبة أضاف تفاصيل محددة للخصائص التي تميزت بها العربية في نحو عشرة مجالات . سنعرض لها في ما بعد .

— وهذا أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ) يقول : «وأما اللغة — وهي العربية التي فضل الله عز وجل بها العرب ، وأنطقهم بها — فهي لغتهم ، كما أن لكل قوم لغة يتكلمون بها»(٢) كما يروى عن الزجاج أنه سمع أبا العباس المبرد يقول : «كان بعض السلف يقول : عليكم بالعربية فإنها المروءة الظاهرة ، وهي كلام الله عز وجل وأنبيائه وملائكته»(٣) .

— وهذا أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (٣٥٠ هـ) صاحب ديوان الأدب يقول — بعد أن قرر أن الله فضل المصطفى صلى الله عليه وسلم بكل فاضل ونفيس من زمان ، وبلد ، وأصحاب ، واسم ، وتقطيع ، وخلق ، وسمت ، ونسب ، وعترة ، وأمة ، ولسان : «فأما الزمان فهو زمان العلم والبيان والفصاحة والبلاغة ، والمنظوم والمنثور يتبارى أهله في ذلك شطيناً شأوهم ، بعيداً غورهم ... وأما اللسان فهو كلام جيران الله في دار الخلد ، وهو المنزه من بين الألسنة من كل

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (السيد صقر) ص ١٢ .
(٢) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص ٩١ .
(٣) نفسه ص ٩٥ .

نقيصة ، والمعلى على كل خسيسة ، والمهذب مما يهجن أو يستشنع .
فَبُنِيَ مباني باين بها جميع اللغات :

من إعراب أوجده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون حلاه به ، فلم يجمع فيه بين ساكنين ، أو متحركين متضادين ، ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ، . . ، فى خلال كثيرة من هذا الشكل لا تحصى »(١) .

ـ وهكذا فضل الفارابى العربية على سائر اللغات بأنها كلام أهل الجنة ، وأنها منزهة عن كل نقيصة ، وأنها اختصت بالإعراب وحسن التأليف .

xxxxxxxxxxx

ـ وهذا أبو الفتح عثمان بن جنى يقول فى المحتسب : « فاقبلنا (اللهم) إلى كنز جنتك التى لم تخلق إلا لمن وسع ظلُّ رحمتك ، واجعل أمامنا هادياً من طاعتنا لك ، وزكوات ما علمتنا من وجوه حكمتك ، وشرحت صدورنا لمعرفته من لطائف مودعات لغة نبيك التى فضّلتها على سائر اللغات ، وفرعت بها فيه سامى الدرجات »(٢) .

والحقيقة أن القول بتفضيل ابن جنى للعربية يصبح من قبيل تحصيل الحاصل إزاء افتتانه بإحكام العربية وسحر أسرارها افتتاناً هزّه عن مذهب المعتزلة فى القول بأن اللغة اصطلاحية — وقد كان هو منهم — ليقول : « إننى إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإرهاف والرقة ، ما يملك على جوانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر .

فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله . ومنه ما حذوته على أمثلتهم . فعرفت بتتابعه وانقياده ، وبعد مراميه وآماده ، صحة ما وفقوا لتقدمه منه ،

---

(١) ديوان الأدب ١ / ٧٠ — ٧٢ . (٢) المحتسب ١ / ٣٢ .

ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم عنه ، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله عزوجل ، فقوى فى نفسى كونها توقيفاً من الله سبحانه ، وأنها وحى»(١) .

ولسنا بحاجة إلى القول بأن اعتقاد كون لغة ما وحياً من عند الله هو قمة التفضيل لهذه اللغة ، لأن الموحى به من عند الله لايكون إلا على الدرجة التامة من الصواب والكمال والإحكام فى بابه .

— وقد فصل ابن جنى كثيراً مما نسبه إلى هذه اللغة فى عدد كبير من أبواب كتابه الخصائص ، وسيأتى أكثره إن شاء الله تعالى .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

فإذا جئنا إلى الإمام أبى الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) وجدناه أصرح القوم فى « القول بأن العربية أفضل اللغات وأوسعها »(٢) إذ عنون بذلك أحد أبواب كتابه الصاحبى ، كما عقد باباً لذكر « ما اختصت به العرب»(٣) ذكر فيها من تلك الخصائص الإعراب ، والشعر ، والعروض ، وعقد باباً ثالثاً سماه الخصائص(٤) جاء فيه بعبارات عربية « لايجوز نقلها إلى غيرها » يعنى تصعب ترجمتها . . . هذا إلى أنه نثر فى كتابه هذا عشرات مما عده خصائص أو سنناً للعرب فى كلامهم . وقد سبقه إلى القول بذلك كله ابن قتيبة فى كتابه تأويل مشكل القرآن(٥) .

وقد عقد السيوطى « نوعاً » فى المزهر سماه معرفة خصائص اللغة(٦) (العربية) كله تقريباً منتقى من كلام ابن فارس جمع فيه خصائص وسنناً قاربت الخمسين(٧) وسنفرغ لعرض ما تيسر منها بعد قليل .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وقال الإمام إسماعيل بن حماد بن حماد الجوهرى (نحو ٤٠٠ هـ) فى مقدمة معجمه الصحاح :

---

(١) الخصائص ١/٧٠ — ٧٢ .
(٢) الصاحبى ص ١٦ .
(٣) نفسه ٧٦ .
(٤) نفسه ص ٤٤٦ .
(٥) انظر تأويل مشكل القرآن ١٢ — ٣٢ ، ٨٦—٢٩٨ .
(٦) المزهر ١/٣٢١ .
(٧) هى فى المزهر ١/٣٢١ — ٣٤٥ وقد أحصيتها فبلغت ستا وأربعين .

« أما بعد فإنى قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندى من هذه اللغة التى شرّف الله منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها » .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

ويقول أبو عثمان سعيد بن محمد المعافرى السرقسطى (المتوفى بين ٤٠٣ — ٤١٠ تقريباً) :

« وإن أشرف ما عنى به الطالب بعد كتاب الله عز وجل لغات العرب وآدابها ، وطرائف حكمها ؛ لأن الله تبارك وتعالى اختارها بين اللغات لخير عترة ، وأشرف أمة ، ثم جعلها لغة أهل دار المقامة فى جواره ومحل كرامته . فهى أفصح اللغات لساناً ، وأوضحها بياناً ، وأقومها مناهج ، وأثقفها أبنية ، وأحسنها بحسن الاختصار تألفاً ، وأكثرها بقياس أهلها تصرفاً»(١) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

— أما أبو منصور الثعالبى (٤٣٠ هـ) فقد جعل الاعتقاد بأن العرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة من سلامة السريرة فى الإيمان (٢) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

— وأما ابن سنان الخفاجى (٤٦٦ هـ) فذكر أنه لاخفاء بمزة العربية على سائر اللغات ، لما فيها من السعة ، وأنها مع ذلك أخصر اللغات فى إيصال المعانى ، ولتجنب الثقل فى ألفاظها ، ولأن أصحابها العرب لاتنازعهم أمة فى فضائلهم ، ولا تباريهم فى مناقبهم ومحاسنهم (٣) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

— وقال جار الله الزمخشرى (٥٣٨ هـ) فى مقدمة كتابه الفائق : « الحمد لله الذى فتق لسان الذبيح ، بالعربية المبينة والخطاب الفصيح ، وتولاه بأثرة التقدم فى النطق باللغة التى هى أفصح اللغات ، وجعله أبا عذر البلاغة التى هى أتم البلاغات»(٤) .

---

(١) الأفعال للسرقسطى ١/٥١ .

(٢) انظر أول مقدمة كتابه فقه اللغة وسر العربية .

(٣) انظر سر الفصاحة ٤٨ — ٥٧ .

(٤) الفائق (أبو الفضل والبجاوى) ١/١١ .

وقال في مقدمة معجمه الأساس: «وأولى ما قُرِن به حمد الله تعالى: الصلاة على النبي العربي المستل من سلالة عدنان، المفضل باللسان اللبق استخزنه الله الفصاحة والبيان، وعلى عترته وصحابته مدارهِ العرب وفحولها، وغرر بني معد وحجولها»(١).

وفي ما أسلفناه من إجمال آراء متقدمي اللغويين في تفضيل اللغة العربية غنى عن تتبع سائرهم. فكلهم ينوهون بهذه اللغة الشريفة ويعتزون بها. وكثيرون منهم يصرحون بتفضيلها(٢).

وقد قلنا في مقدمة هذا التمهيد إننا نجتزىء بما يتقرر في تفصيل الخصائص تبيناً أو تصديقاً (عقلياً) لمعنى هذا التفضيل ولجوانبه.

— أما الذين يعيبون فكرة تفضيل لغة ما على غيرها، ويرون استبعاد هذه المسألة من مجال البحث اللغوي لأنها غير «علمية» فإننا نقول لهم: إن اللغات تتفاضل من حيث هي وسائل للبيان، أي من حيث كفايتها واقتدارها في أداء وظيفة اللغة — وهذه نقطة علمية ولاشك. وتفاضل اللغات في أداء وظيفة اللغة أمر لاشك فيه. وهذه الخصائص تعالج جوانب هذه الكفاية أو أكثرها وأهمها. ومن أجل هذا قلنا إننا نجتزىء بعرضها وتحقيق أمرها فيصلاً لقبول هذا التفضيل أو عدم قبوله. ثم إن الجانب الديني البحت كاعتقاد أن العربية أفضل عند الله عز وجل، أو أنها أوحيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو أنها لغة أهل الجنة.. إلى آخر ما قد يؤخذ من الآيات والأحاديث التي أسلفناها، فهذا مناط اعتقاده بالنسبة للمسلم ثبوته القطعي بالأدلة الشرعية. أما بالنسبة لغير المسلم فإن واجبه أن يبحث لنفسه. ولانفرض — أو نطالب بفرض — عقائدنا على أحد، فـ «لا إكراه في الدين».

---

(١) انظر مقدمة الأساس.

(٢) انظر — مثلاً — مقدمات المخصص ١/٢، وشمس العلوم للقاضي نشوان بن سعيد ١/٢، ولسان العرب ١/٢.

الخصيصة الأولى : البيان

وربما كان أول من ذكر البيان باحتسابه خصيصة للغة العربية هو ابن قتيبة فى قولته المجملة التى أسلفناها ، وقد ذكر فيها ما خص الله به لغة العرب دون جميع اللغات من الافتنان فى الأساليب . وأنه « ليس فى جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة ، والبيان ، واتساع المجال ما أوتيته العربية خصيصى من الله »(1) .

وقد احتج ابن فارس لاختصاص العربية بالبيان بحجة قرآنية واضحة هى قوله تعالى فى وصف القرآن أنه نزل « بلسان عربى مبين »(2) قال ابن فارس : « فوصف الله جل ثناؤه اللسان العربى بأبلغ ما توصف به (اللغة) وهو البيان »(3) أقول : وإنما كان البيان أبلغ ما توصف به اللغة لأنه هو رأس وظائفها وأخص ما تراد له . فإذا وصف الله به لغة كان ذلك دليلا على تحقق هذه الصفة فيها على أكمل الوجوه . ومن ثم كانت هى أكمل اللغات .

ويضيف ابن فارس إلى احتجاجه القرآنى لوصف العربية بالبيان احتجاجاً قرآنياً لكون البيان هو أعظم نعم الله على الإنسان بأنه تعالى قدم ذكر البيان على سائر ما امتن به من نعم وآلاء على الإنس والجن فى سورة الرحمن ، إذ قال تعالى فى أولها : « الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه

---

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد صقر ص ١٧ .

(2) سورة الشعراء آية ١٩٥ .

(3) الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد صقر ٨٠ بتصرف يسير .

البيان»(١) ثم يقول ابن فارس : « فلما خص الله اللسان العربى بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه »(٢) ويعنى ابن فارس أن اللسان العربى فاق سائر اللغات لأنه يمثل إحدى نعم الله العظمى على الإنسان — وهى نعمة البيان — أقوى تمثيل وأجلاه .

والبيان لفظ مجمل . قال الإمام الشافعى : « والبيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع »(٣) . أقول : والمراد به هنا الكشف بالعبارة اللغوية عما يقع فى النفس من مشاعر وخواطر وفكر تتعلق بالأشياء المحيطة أو تتولد فى الحس الباطن بوجه ما .. يقول الجاحظ : « والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعتَ الله عز وجل يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه .

... والبيان اسم جامع لكل شىء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجُم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان الدليل .. »(٤) وقد قلنا منذ قليل إن المراد هنا هو البيان بالعبارة اللغوية وحده — دون الإشارة والعقد والخط والنصبة التى عهد الجاحظ بكلامه هذا للحديث عن كل منها .

وإذا كان هذا هو معنى البيان فإن المقصود هنا بالبيان الذى خصت به العربية هو كمال البيان اللغوى أى الصورة العليا منه — وليس مجرد البيان لأن مجرد البيان قد يتأتى بغير العبارة اللغوية ، كما أنه فى مجال العبارات اللغوية يتأتى بمستويات شتى تشترك فيها سائر اللغات ولاتختص العربية إلا بأعلاها وهو المراد هنا .

وفى تحرير هذا المراد يقول ابن فارس : « فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربى ، لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بيّن . قيل

---

(١) انظر الصاحبى ١٦ وقد فصلت ما أجمله .

(٢) الصاحبى ص ١٦ .

(٣) الرسالة للإمام الشافعى (شاكر) ص ٢١ .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ (هارون) ١/٧٥ — ٧٦ .

له : إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده ، فهذا أخس مراتب البيان ؛ لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ، ثم لايسمى متكلماً — فضلا عن أن يسمى بَيِّناً أو بليغاً . وإن أردت أن سائر اللغات تُبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط ؛ لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة . وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذاك ؟ وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب ؟ هذا مالا خفاء به على ذى نُهْيَة »(١) .

ونحن نلحظ أن ابن فارس اعتمد فى إثبات اختصاص العربية بالبيان فى مستواه الأعلى على اختصاصها بأحد العناصر التطبيقية للبيان — وهو الترادف ، لأن مصطلح البيان مجمل كما أسلفنا . ونحن بدورنا لانستطيع أن نحقق مدى اختصاص العربية بالبيان إلا من خلال دراسة دعوى اختصاصها بعناصره التطبيقية التى أسلفنا عرضها ، فلنبدأ بدراستها حسب ما رتبناه .

---

(١) الصاحبى ١٦ — ١٠٧ .

الخصيصة الثانية : وهي من الخصائص المفصلة للتبيان
زيادة حروف المباني في العربية عن غيرها

أول من ذكر زيادة حروف المباني في العربية عنها في غيرها أبو محمد عبد الله بن مسلم (بن قتيبة) في قوله :

« وألفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفاً — وهي أقصى طوق اللسان ، وألفاظ جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين . ولست واجداً في شيء من كلامهم حرفاً ليس في (حروفنا) إلا معدولا عن مخرجه شيئاً ، مثل الحرف المتوسط مخرجي القاف والكاف ، والحرف المتوسط مخرجي الفاء والباء »(١) .

وقد سبق الخليل رضي الله عنه فقرر « أن الظاء حرف خص به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم »(٢) وقال الأصمعي : « ليس للروم ضاد ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسرياني ذال »(٣) وحكى ابن سنان ما قاله الأئمة من اختصاص لغة العرب بالظاء والضاد »(٤) وسنحقق كل هذا بعون الله في ما بعد .

وحروف المباني هي الحروف التي يتركب منها الكلام أي حروف الأبجدية مجردة . وكلما كثرت تلك الحروف زادت الفرصة لتكوين مواد

---

(١) تأويل مشكل القرآن (السيد صقر) ٤ ويقصد بالمتوسط مخرجي القاف والكاف الجيم الفارسيةG ، والمتوسط مخرجي الفاء والباء الفاء المجهورة V .

(٢) لسان العرب أول باب الظاء .   (٣) البيان والتبيين ١/٦٥ .

(٤) سر الفصاحة ٥٦ .

وتراكيب لغوية . فالحرفان مثلا يمكن أن نركب منهما تركيبين ثنائيين ليس فيهما حرف مضاعف (ا ، ب يتكون منهما أب ، ب أ) . وثلاثة الأحرف يمكن أن يتكون منهن ستة تركيبات ثنائية ، وستة ثلاثية لا يضاعف حرف فى أى منهن (أ ، ب ، ج يتكون منهن أب - أ ج - بج - بأ - جأ - جب : ثنائيات . ويتكون منهن أبج - بجأ - جأب - أجب - جبأ - بأج) . وأربعة أحرف يمكن أن يتكون منهن اثنا عشر تركيباً ثنائياً ، وأربعة وعشرون تركيباً لغوياً ثلاثياً ، وكذلك أربعة وعشرون تركيباً رباعياً . . وهكذا(١) . وكل هذا دون تضعيف أى حرف فى تكوين أى تركيب . أما عند قبول التضعيف فإن الحرفين يمكن أن يتكون منهما أربعة تراكيب ثنائية (ب ج يمكن أن يتكون منهما بب ، جج ، بج ، جب) وثلاثة الأحرف يمكن أن يتكون منهن تسعة تراكيب ثنائية ، وسبعة وعشرون تركيبا ثلاثيا . وأربعة الأحرف يمكن أن يتكون منهن ستة عشر تركيباً ثنائياً ، وأربعة وخمسون تركيباثلاثياً ، وست وخمسون ومئتا تركيب رباعى وهكذا (٢) . فإن زيادة حروف البناء الأبجدية فى لغة ما تعنى زيادة فرص تكوين المواد اللغوية . ومناط القيمة فى إضافة المواد اللغوية الجديدة أو توفر الفرص لتكوينها هو إتاحة الفرص لقولبة المزيد من المعانى والفكر التى لم تسلك من قبل فى كلمات مسموعة أو مقروءة . واللغة التى تتيح ذلك أولى اللغات بالإنسان لأنها تبسط وجوده الفكرى إلى آفاق أرحب مما يتيحه غيرها مماتقصر مكونات ألفاظه عن مكونات ألفاظها . والآن فما حقيقة دعوى ابن قتيبة رحمه الله أن حروف المبانى فى العربية أكثر منها فى غير العربية إذ تبلغ ثمانية وعشرين ، وحروف « جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين » ؟ وبعبارة أخرى هل صحيح أن لغتنا العربية أغنى اللغات بالأصوات اللغوية أو بحروف المبانى خاصة ؟

إن إجابة هذا السؤال تقتضى إحصاء عدد الأصوات اللغوية فى لغتنا

---

(١) يمكن شرح هذا بطريقة الخليل على الدائرة وبحساب التباديل الحديث .

(٢) يتم هذا بضرب عدد الحروف المتاحة فى نفسه مرات بعدد الحروف التى يراد وضعها فى التركيب الواحد . وانظر المسألة الخامسة عشرة من النوع الأول فى المزهر للسيوطى ١/٧١ مع التنبه لأخطاء النساخ هناك .

العربية وفى لغات العالم بقدر ما تتيحه المصادر كما تقتضى عقد مقارنات بين العربية وأشهر اللغات العالمية أو أدعاها للمقارنة بالعربية .

فأما فى لغتنا العربية فهناك (٣٤) أربعة وثلاثون صوتاً لغوياً (حرفا) متميزاً ومستعملا هى (الهمزة) ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ى ثم ألف المد وواو المد وياء المد ثم الفتحة والضمة والكسرة(١) . وهناك أيضاً أصوات عربية فرعية ذكر منها سيبويه النون الخفية ، والهمزة التى بين بين ، والألف التى تمال إمالة شديدة ، والشين التى كالجيم (مثل J وتُسمع فى نحو أشداق وأشغال) ، والصاد التى كالزاى (فى نحو مصدر إذا تساهلنا فى الصاد فجهرنا صوتها) ، وألف التفخيم فى لهجة الحجازيين (فى مثل الصلوة) . . . وهذه الأصوات الفرعية عدها سيبويه مستحسنة يكثر استعمالها « ويؤخذ بها وتستحسن فى قراءة القرآن والأشعار »(٢) . وبها بلغت عدة الأصوات العربية أربعين . ويمكن أن يضاف إليها حرفان مما سمته الدراسات الأوربية صوتاً مزدوجاً diphthong وقد تنبه إليهما الإمام أبو الحسن على بن حمزة الكسائى المتوفى ١٨٩ هـ ؛ إذ سمى الواو التى قبلها فتحة والياء التى قبلها فتحة حرفين منبسطين(٣) . وبهما تبلغ عدة أصوات العربية اثنين وأربعين .

ويمكن أن يضاف إليها — مما يستحسن ويقرأ به القرآن أيضاً — الإمالة الخفيفة للألف ، والفتحة الممالة ، والفتحة المفخمة ، والروم والإشمام . (هذا والحركات الست الشكلات والمدات — لكل منها ثلاث درجات ترقيق وتفخيم كامل وتفخيم متوسط وكلها عربى فصيح) .

ثم ذكر سيبويه أيضاً أصواتاً أخرى « غير مستحسنة ولا كثيرة فى لغة

---

(١) هذه الحركات تحسب أصواتاً أى حروفاً لأن لها مخارج وصفات وقيماً معنوية ورموزاً كتابية ثم إن نظائرها فى اللغات الأخرى (الحركات Vowels) تحسب وتكتب ونحن بصدد المقارنة بين لغتنا واللغات الأخرى .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤٣٢/٤ .

(٣) مقدمتان فى علوم القرآن ١١٠ .

من ترتضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر » وهى الكاف التى بين الجيم والكاف (ويقصد الكاف الجيمية — الفارسية — أو يقصد كشكشة تميم حيث يبدلون كاف المخاطبة المؤنثة شيناً أو يلحقون بها الشين (فى الوقف) مثل إليكش ومنكش . ونسمع فى بعض اللهجات من يجعلها كصوت Ch فى الإنجليزية) ، والجيم التى كالكاف (الجيم القاهرية (الكافية) وقد عرفت فى لهجة بعض قبائل اليمن القديمة) ، والجيم التى كالشين (فى مثل اجتمعوا تنطق اشتمعوا) ، والضاد الضعيفة (كالثاء وكالزاى أو الظاء الخالصة وكالدال المفخمة) ، والصاد التى كالسين (شائعة فى نطق النساء) والطاء التى كالتاء (شائعة فى نطق أهل الوجه البحرى من مصر) ، والظاء التى كالثاء ، والباء التى كالفاء (١) .

وتعرض ابن سينا لخمسة عشر صوتاً فرعياً بعضها عرض هنا . ومن أهم ما لم يذكر القاف الخفيفة (مثل G) والراء الغينية واللامية واللام المطبقة(٢) .

وأما فى اللغات الأخرى فقد أحصيت ما عرضته دائرة معارف تشمبرز من الأصوات الصامتة Consonants فبلغت ستاً وخمسين وذلك بصرف النظر أيضاً عن تكرار بعضها بحسب اختلاف مخرجه(٣) ، وعن مدى استقلال كل منها بقيمة معنوية(٤). وعلى هذا المستوى يمكن أن نقول إن فى لغتنا من الصوامت نحو ٤٥ صوتاً من بين الأصوات العالمية الستة والخمسين وأكثرها مشترك بين لغتنا واللغات الأخرى أى موجود فيهن على السواء كأصوات الباء والتاء والدال والراء والسين والزاى والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء وغيرها — وحروف العربية بهذا العدد تشكل نسبة عالية جداً يندر أن يكون لها نظير بين لغات العالم . ولكن المقارنة الدقيقة فى رأينا هى التى تعقد بين العربية ولغات معينة .

(١) المرجع السابق ويرجح الدكتور تمام حسان أن هذه الباء هى الـ P ينطقونها فاء حين يعربونها (برزدة فرزدق) (اللغة العربية معناها ومبناها ٥٦) والمؤسيون فى نيجيريا ينطقون الباء فاء .

(٢) أسباب حدوث الحروف للرئيس ابن سينا ١٤ — ١٦ .

(٣) صوت R مثلا ذكره مرة بين الحروف اللثوية الأسنانية ، ومرة مع الحروف اللهوية لأنه لهوى فى بعض اللغات (كالفرنسية) .

(٤) كما سيتضح بالكلام عن الوحدة الصوتية والصورة الصوتية .

إن هذه المقارنة تجرنا إلى التفرقة أولا بين الوحدة الصوتية (فونيم) Phoneme والبديل الصوتى (أو الصورة الصوتية) Allophone (١) فالوحدة الصوتية هى الصوت أو مجموعة الأصوات التى تعبر عن قيمة أبجدية واحدة مهما تعددت صورها أو تغيرت صفاتها — (أى أنها تعبر عن حرف أبجدى واحد بعينه) ، وذلك أن الأفراد يختلفون فى أداء أصوات اللغة قليلا أو كثيراً لأسباب فردية أو قبلية أو جغرافية أو غيرها . فهناك من ينطق الجيم — مثلا معطشة (ج) ، ومن ينطقها قاهرية (كالكاف الفارسية كَـٓ — G) ومن ينطقها شامية (ج J) (٢) فكل هذه صور صوتية أو بدائل صوتية لوحدة صوتية واحدة . وبعبارة أخرى فكل هذه الجيمات صوت أبجدى (أوحرف) واحد ، لأن قيمتها فى الأبجدية — على نطاق الاستعمال اللغوى الفصيح المعترف به — واحدة . أى أن وجود أى منها فى الكلمة يكفى لتحمل نفس المعنى (فالجَـمَـل بأى نطق للجيم هو الجَـمَـل المعروف) ، ولا يؤدى استعمال واحدة منها بدل الأخرى إلى تغيير المعنى . وكذلك الأمر فى س « السراط » فلا يختلف معناها عند من يقرؤها « الصراط أو الزراط » وكذلك ص (الصندوق) لايختلف معناها عند من ينطقها (السندوق أو الزندوق) وهكذا . فكل من الجيم والسين والصاد (فونيم) واحد أى وحدة صوتية واحدة لها ثلاث صور . وعلى ذلك فقد يكون للوحدة الصوتية عدة صور أو بدائل كالجيم والطاء والظاء والضاد والصاد والقاف . . . وقد لا يكون لها صور متعددة معروفة أو مشهورة كالباء والتاء والخاء . . . الخ — وان كانت الدراسة الصوتية الحديثة تثبت أن لكل وحدة عدة صور ، نظراً لاختلاف الأفراد

---

(١) ننبه هنا إلى أن مصطلحى الوحدة الصوتية (الفونيم) ، والبديل الصوتى — مع أنهما حديثان فى الدراسة الصوتية إلا أن بذرتهما فى الدراسة العربية موجودة منذ تكلم سيبويه والعلماء العرب بعده عن الحروف الأصلية والحروف الفرعية، وصرح ابن مجاهد بأن مثل هذا الفرعى لا ينبنى عليه الكلام ولا هو من حروف المعجم والذى أثار المشكلة حديثاً هو ما أثبتته أجهزة قياس الأصوات من أن الناس لا تنطق الصوت الواحد — كالباء أو التاء إلخ بصورة واحدة ، بل إن الشخص الواحد تختلف مقاييس أدائه للحرف نفسه فى كل مرة عن غيرها ، وكل من هذه المرات هو بديل الحرف إلا أننا لا نأخذ إلا ما وضح وتميز .

(٢) ولكل ذلك أساسه القبلى الموروث عن العرب.

اختلافاً طبيعيا فى نطق الأصوات اللغوية ، بل لاختلاف نطق الفرد الواحد للصوت عينه كل مرة عن الأخرى .

والآن فإنه عند حساب أصوات لغة ما ينبغى أن تحسب وحداتها الصوتية لا صور الأداء الصوتى . ولا يعنى هذا بالنسبة لاستعمالات سندوق وزندوق — مثلا — أن السين والزاى لاتحسبان ضرورة ضمن وحدات الأصوات العربية . وإنما الأمر أن الصوت اللغوى — منهما أو من غيرهما — إذا كان يشترك فى بناء ألفاظ عربية باحتسابه صوتاً متميزاً فى اللغة فإنه ينبغى أن يحسب من وحداتها الصوتية حتى لوكان هذا الصوت نفسه يستعمل فى بعض الحالات بديلا لصوت لغوى آخر كالسين والزاى هنا ، أما إذا اقتصر دوره فى اللغة على كونه يظهر أحياناً كبديل لإحدى الوحدات الصوتية فإنه لايحتسب من أصوات اللغة أو (فونيماتها) وذلك كالجيم الشامية والكافية مع الجيم المعطشة وعلى هذا فصوتاج J ، كـَ G لاينبغى أن يحسبا ضمن أصوات العربية لأنهما مجرد بدائل صوتية هنا ولم يستعملا بصورة عامة فى بناء الألفاظ العربية : بينما كل من الكاف والقاف (فى ملك وملق) مثلا ، والدال والطاء فى (قد وقط) ، والثاء والسين فى (عثر وعسر) ... كل واحد منها فى تلك الثنائيات وحدة صوتية (فونيم) ، لأنه مستعمل فى اللغة بصورة عامة فى بناء ألفاظ اللغة ، وهناك فرق فى المعنى بين الكلمة التى يشترك هو فيها والكلمة التى يشترك فيها صنوه(١) .

وبهذه النظرة — وهى موضوعية — نجد أن فى العربية ٣٤ صوتاً (ثمانية وعشرون صوتاً صامتاً وست حركات) ، وفى الإنجليزية ٢٦ صوتاً منها المركب X الذى يمكن الاستغناء عنه بغيره ، كما يمكن أن يحذف منها صوت

---

(١) الكلام عن الفونيم مبسوط فى دائرة المعارف البريطانية (١٧/٧٧٤) وفى دائرة معارف تشمبرز Chambers وانظر تناولا له فى الأصوات اللغوية د. أنيس ٥٠ ، واللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ٥٧ ، علم اللغة د. محمود فهمى حجازى ص ٦ وتناولا مبسوطاً فى « فى علم اللغة العام د. عبد الصبور شاهين ١١٥ — ١٣٤ .

c إذ تغني عن نطقها K,S (١) — كما يمكن أن يضاف إليها صوت الشين (Sh) والذال أو الثاء (th) لأنها وحدات صوتية شائعة فيها — بالرغم من عدم وضعهم رموزاً لها . وتتميز بصوتي V ، P . وبذا تبلغ أصواتها تسعة وعشرين وكذلك الحال في الفرنسية . أما اليونانية واللاتينية فلكل منهما ٣٤ صوتاً .

« وفي الفارسية الحديثة اثنان وثلاثون حرفاً هي الحروف العربية الثمانية والعشرون مضافاً إليها الحروف الأربعة ب P ، ج c h ، ژ (الحرف الذي يشبه نطقه نطق S في Pleasure ، گ وهي كالجيم القاهرية . وتنطق الثاء والصاد كالسين والحاء كالهاء ، والذال والضاد والظاء كالزاي ، والعين كالهمزة ، والطاء كالتاء ، والقاف كالغين أو الكاف أو القاف تبعاً لاختلاف اللهجات والواو ينطق بها كما ينطق بالحرف V وفي بعض اللهجات ينطق بها كما في العربية (٢) . وبتأمل يسير يمكن طرح تسعة أحرف من هذه الإحصائية ، لأنها مجرد بدائل ، ولعلها مستعارة أساساً من العربية — يبقى للفارسية ثلاثة وعشرون صوتاً صامتاً . كما أن للفارسية عشر حركات كثير منها صور أدائية بشروط خاصة ، لها في العربية نظائر تفوقها عدداً . فالعربية أكثر حروفاً من الفارسية أيضاً .

فإذا جئنا إلى العبرية وهي لغة سامية كالعربية وجدنا أن لها أيضاً ثلاثة وعشرين صوتاً صامتاً ، ومنها ستة أحرف لها بدائل تعوض نقصها ، فقد تنطق الباء فاء V ، والجيم غيناً ، والدال ذالا ، والكاف خاء ، وال P فاء ، والتاء ثاء . وفي العبرية ثماني حركات بعضها صور أدائية في العربية أمثالها(٣) . وهكذا يتبين أن العربية أكثر حروفاً من العبرية أيضاً .

هذا وقد قرر بعض الباحثين أن عدد الفونيمات في اللغات المختلفة يتراوح

---

(١) هذا استنتاج مما جاء في موسوعة تشمبرز من أن صوت ال K في Keep ، cottage (فونيم) واحد .

(٢) القطوف واللباب للعلامة حامد عبد القادر ص ٨ .

(٣) انظر التوطئة في اللغة العبرية د. فؤاد حسنين علي ١٥ — ١٨ .

بين ١٠ / ١٢ ، ٧٠ / ٨٠٪(١) . والمرجح أن هذا الباحث نظر إلى الرموز المكتوبة للأبجديات ، ولم يسقط الرموز التي تمثل أصواتاً مركبة ، وأنه احتسب في هذا الإحصاء الصور الصوتية أيضاً .

وأيا كان فإنه بمقارنة العربية باللغات المشهورة أوربية وغيرها يتبين أن العربية أثرى تلك اللغات بالوحدات الصوتية .

وبهذا التحليل العلمي يثبت ما قرره ابن قتيبة من زيادة حروف المباني في العربية عنها في سائر اللغات .

وجدير بالذكر هنا أنه من الثابت أن اللغات الأوربية تخلو من صوتي العين والحاء ، كما أن المستشرق برجستراسر شهد لما قرره أئمة العرب من اختصاص العربية بالضاد(٢) . في قوله : « فالضاد العتيقة حرف غريب جداً غير موجود على حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية» (٣) أما بقية قوله وهو « ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لايوجد عند أحد من العرب» (٤) فهو ظن تخالفه الحقيقة الواقعة وهي أن الضاد الفصحى ينطقها خاصة المثقفين في العربية السعودية وفي العراق .

هذا وقد أسلفنا ما ذكره الخليل أن الظاء حرف خص به لسان العرب لايشركهم فيه أحد من سائر الأمم (٥) وقد حقق قولته هذه خبراء بلغة الأعاجم هم الجواليقي (٦) وأبو حيان عن شيخه ابن أبي الأحوص(٧) — وهما أندلسيان .

---

(١) الأصوات والإشارات كندارتوف . ترجمة شوقي جلال ص ٢٩ .

(٢) قرر ذلك الأصمعي (البيان والتبيين ١/٦٥) وابن جني (سر صناعة الإعراب ١/٢٢٢) وحكى ذلك ابن فارس ، وذكره الزبيدي في تاج العروس ٢/٤٠٦ .

(٣) التطور النحوي تحقيق د. رمضان عبد التواب ١٨ .

(٤) نفسه .

(٥) اللسان أول باب الظاء والقاموس ظوى/ظي .

(٦) المعرب الجواليقي ٢٦٨ آخر باب الصاد .

(٧) تاج العروس ٢/٤٠٦ .

وفى مقابل ذلك ربما كان أهم ما تتميز به اللغات الأوربية هو الفاء المجهورة V ، وأقل منه أهمية الباء المهموسة (١) .

---

(١) ذكر ابن سنان أن العربية خلت من حروف توجد فى لغة الأرمن التى حكى أنها تبلغ ستة وثلاثين حرفاً ثم قال : «إلا أنك إذا تأملتها وجدت بعض الحروف التى فيها يتشابه بعضى كثيراً » سر الفصاحة ٥٧ وتحليل مجدولة أصوات تشمبرز الذى أسلفناه يحقق آخر كلام ابن سنان كما يحقق ماقاله ابن قتيبة تماماً فليس فى تلك المجدولة أصوات لم ترد فى لغتنا على أى مستوى غير ال V وال P وهما معدولان عن الفاء والباء . أما الحرف الذى أوله نون ساكنة وآخره جيم قاهرية فهو حرف مركب . لا يعتد به فى الإحصاء لأنه يقع مقابله عدد كبير من كيفيات الأداء فى قراءة القرآن الكريم مجوداً .

الخصيصة الثالثة : وهي من الخصائص المفضلة للبيان
حسن تأليف مبانى الكلم فى العربية

ذكر هذه الخصيصة أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى (المتوفى نحو ٣٥٠ هـ) ، كما ذكرها ابن فارس (٣٩٥ هـ)، وابن سنان الخفاجى (٤٦٦ هـ) مصرحين — بصورة أو أخرى — بكونها مما تختص به العربية(١). كما أن كثيرين من أئمة اللغة تناولوا موضوع هذه الخصيصة بعرض ظواهر من حسن تأليف مبانى الكلم فى العربية ، ولكن دون أن يصرحوا باختصاص العربية بذلك . وسيأتى كل هذا أو أكثره — إن شاء الله تعالى .

— وقد أجمل ابن سنان ما يراد بهذه الخصيصة فى قوله : إن الواضع للغة العربية « تجنب — فى الأكثر — كل ما يثقل على الناطق تكلُّفُه والتلفظ به »(٢) ثم مثل — لما تُجُنِّب — بالجمع بين الحروف المتقاربة فى المخارج فى بناء الكلمة ، وذكر أن تجنب الثقل روعى فى الحركات أيضاً(٣) وكانت عبارة الفارابى بشأن هذه الخصيصة : « وهو (يعنى اللسان العربى) المنزّهُ من بين الألسنة من كل نقيصة ، والمُعَلَّى على كل خسيسة ، والمهذَّب مما يهجن أو يستشنع ، فبُنِىَ مبانىَ بايَنَ بها جميع اللغات : من إعراب أوحده الله له ، وتأليف بين حركة وسكون حلاّه به . فلم يجمع فيه بين ساكنين ، أو متحركين متضادين . ولم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ،

---

(١) انظر ديوان الأدب ١/٧٢ ، والصاحبى (صقر) ٢٠ ، ٨٧ ، وسر الفصاحة ٥٠ ، ٥٧ .

(٢) انظر سر الفصاحة ٥٠ .   (٣) نفسه .

ولا يجذب النطق بهما ، أو يشنع ذلك منهما فى جرس النغمة وحس السمع ، كالعين مع الحاء ، والقاف مع الكاف ، والحرف المطبق مع غير المطبق مثل تاء الافتعال مع الصاد والضاد فى أخوات لهما ، والواو الساكنة مع الكسرة قبلها ، والياء الساكنة مع الضمة قبلها ، فى خلال كثيرة من هذا الشكل لاتحصى »(١) وتناول بعض ذلك فى موضع آخر وزاد حيث قال: « العرب تميل عن الذى يلزم كلامَها الجفاءَ إلى ما يلين حواشيه ويرقها . وقد نزه الله لسانها عما يجفيه، فلم يجعل فى مبانى كلامها جيماً تجاورها قاف متقدمة ولا متأخرة ، أو تجامعها فى كلمة صاد أو كاف — إلا ماكان أعجمياً أعرب ، وذلك لجُسْأة هذا اللفظ ومباينته ما أسس الله عليه كلام العرب من الرونق والعذوبة ، وهذه علة أبواب الإدغام وإدخال بعض الحروف فى بعض . وكذلك الأمثلة والموازين اختير منها ما فيه طيب اللفظ ، وأهمل منها ما يجفو اللسان عن النطق به أولا مكرهاً (كذا ، ولعلها : إلا مكرهاً) . كالحرف الذى يبتدأ به لا يكون إلا متحركاً ، والشىء الذى تتوالى فيه أربع حركات أو نحو ذلك يسكّن بعضها »(٢) .

— وذكر ابن فارس بعض تلك التفاصيل ، وزاد أيضاً . وذلك فى قوله: « ومما اختصت به العرب . . قلبهم الحروف عن جهاتها ليكون الثانى أخف من الأول . نحو قولهم « ميعاد » ولم يقولوا « مِوْعاد » — وهما من الوعد ، إلا أن اللفظ الثانى أخف . ومن ذلك تركهم الجمع بين الساكنين — وقد تجتمع فى لغة العجم ثلاث سواكن ، ومنه قولهم « ياحارِ » ميلا إلى التخفيف ، ومنه اختلاسهم الحركات فى مثل :

فاليوم أشربُ غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل

ومنه الإدغام ، وتخفيف الكلمة بالحذف، نحو لم يَكُ ، ولم أُبَل »(٣) .

---

(١) ديوان الأدب ١/٧٢ .
(٢) المزهر ١/٣٤٣ .
(٣) الصاحبى (صقر) ٢٠ .

وتناول فى موضع آخر ما أهمل تركيبه من الألفاظ مقسماً إياه إلى ما لا يجوز ائتلافه لتنافر حروفه كجيم مع كاف ... الخ، وإلى ما يجوز ائتلافه ولكن العرب أعرضت عن تأليفه نحو «عضخ» ، ثم ذكر قسماً من المهمل ثالثاً وهو ما يكون على خمسة أحرف ليس بينها أى من حروف الذلاقة أو الإطباق (١) .

— فإذا عدنا إلى أقوال أولئك الأئمة لنستخلص منها موجزاً لمعالم هذه الخصيصة وجدنا : —

أولا : مبادىء عامة مثل تجنب كل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظ به ، وأن اللسان العربى منزه عن كل نقيصة، مهذب مما يهجن أو يستشنع ، وأن العرب يميلون عما يلزم كلامهم الجفاء إلى ما يلين حواشيه ويرقها أى أنهم يتصرفون فى ما قد يقع فى كلامهم مما يثقل أو يستشنع بحيث يعود خفيفاً رقيقاً .

وثانيا : معالم محددة تثبت تحقق هذه الخصيصة نصنفها فى ما يلى :

(ا) منع تركيب الكلم العربية من حروف لا تأتلف ؛ لتقاربها أو تضاد صفاتها، والتصرف فى ما قد يقع من نحو ذلك — فى الأصل أو بسبب تصرف الكلم فى الصيغ المختلفة — بالإبدال كإبدال حروف العلة (ميعاد) ، وإبدال تاء افتعل ، أو بإدغام ما يتماثل أو يتقارب .

(ب) منع تركيب الكلم العربية من أربعة حروف (٢) فما فوق خالية من

---

(١) نفسه ٨٧ — ٨٨ .وقوله الإطباق غير دقيق . فالذى ذكره الخليل فى هذه المسألة هو حروف الذلاقة ، وذكر حسن العين والقاف والسين والدال والهاء . كما أنه ضم الرباعى إلى الخماسى فى ضرورة وجود حروف الذلاقة فيه ، وذكر أن المستثنى من ذلك نحو عشر كلمات (انظر العين (درويش) ١/٨ه — ٦٢) . ثم إن حروف الإطباق على حسب الاصطلاح المعروف (ص ض ط ظ) ثقيلة لا يؤتى بها للتخفيف ، إلا إذا كان ابن فارس يقصد اصطلاح الخليل بتسمية الميم مطبقة (العين ١/٦٥) لكنها حرف واحد وليست حروفاً كما ترى .

(٢) انظر التعليق السابق على كلام ابن فارس حيث نبهنا إلى أن الخليل ذكر أن حروف الذلاقة تشترط فى الأبنية الرباعية أيضاً .

حروف الذلاقة ، وهذا يعنى أن الأبنية الثلاثية هى أعدل الأبنية ؛ ويدخل فى إطار هذا النوع والذى قبله تخفيف بعض الأبنية بحذف بعض الحروف والترخيم وما إلى ذلك .

(جـ) حسن تأليف الحركات بالمراوحة بين الحركات والسكنات ممثلة فى منع التقاء الساكنين ، ومنع توالى أربع حركات ، ومنع توالى الحركات المتضادة . ويتضمن هذا التخلص مما قد يكون قد وقع بالإسكان واختلاس الحركات .

ونظراً إلى أن المبادىء العامة التى أسلفناها أخذاً من كلامهم ، والتى تعنى تجنب العرب لكل صور الثقل فى أداء الألفاظ — ماذكر منها هنا بعينه وما لم يذكر ، ولترتيب العرض والمعالجة وتيسيرهما ، فإننا سنتناول — لتفصيل هذه الخصيصة وتحقيقها — صور حسن التأليف بالتفصيل والترتيب الآتيين :

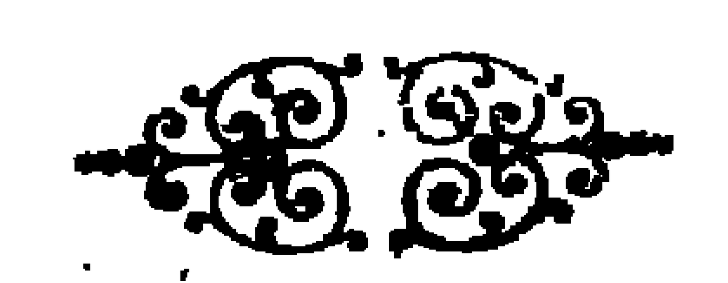
الصورة الأولى : قلة عدد الحروف التى تبنى منها الكلمة العربية — وذلك فى الجمهور الأعظم من ثروة المفردات العربية .

الصورة الثانية : تخفيف الأبنية الكثيرة الحروف باشتراط حروف الذلاقة فى أصولها .

الصورة الثالثة : ما يلتزم فى مكونات الكلمة العربية من الاتساق (عدم التنافر) .

الصورة الرابعة : ما يجرونه فى مكونات ألفاظهم التى يستشعرون ثقلها ليخففوها (كالإبدال والتقريب بصوره والحذف والزيادة) .

الصورة الخامسة : حسن تأليف الحركات .



الصورة الأولى لحسن تأليف مباني الكلم العربية
قلة عدد الحروف في الجذور العربية

– من المقررات المعروفة في اللغة العربية أن غالب ألفاظ هذه اللغة بنيت على ثلاثة أصول ، وقليل منها بني على أربعة أصول ، أما ما بني على خمسة أصول فلا يخرج عن دائرة النادر . وهذا الإحصاء يوضح ذلك(١) :

الجذور	الصحاح		لسان العرب		تاج العروس	
	عددها	نسبتها المئوية إلى مجموعها	عددها	نسبتها المئوية إلى مجموعها	عددها	نسبتها المئوية إلى مجموعها
الثلاثية	٤٨١٤	٪٨٥,٦٩	٦٥٣٨	٪٧٠,٥١	٧٥٩٧	٪ ٦٣,٥
الرباعية	٧٦٦	٪١٣,٦٣	٢٥٤٨	٪٢٧,٤٧	٤٠٨١	٪ ٣٤
الخماسية	٣٨	٪٠,٦٨	١٨٧	٪٢,٠٢	٣٠٠	٪ ٢,٥
المجموع	٥٦١٨		٩٢٧٣		١١٩٧٨	

– يلحظ أن التراكيب الثلاثية تمثل في معجم الصحاح – وهو يضم أجرى التراكيب أي أخفها ، وأوثقها ثبوتاً عنده – أكثر من ٨٥٪ من تراكيب اللغة ، وأنها لم تنخفض في أوسع المعاجم – وهي تضم النادر والثقيل –

---

(١) هذا الإحصاء من الجدول رقم ٣٠ من إحصائيات جذور معجم لسان العرب ص٩٣ ، مع الجدول الإحصائي في ص ٩ من دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس . وقد صرفنا النظر عن الأحادي والثنائي كواو العطف ومن الجارة ، لأنه من القلة بحيث لا يشكل نسبة تذكر أو تؤثر .

عن ٦٣,٥٪ وهي نسبة الكثرة . بل يلحظ أن الرباعي — وهو الذي يلي الثلاثي في الخفة — هو الذي صار ذا نسبة معتبرة ٢٧,٥ ٪ في اللسان و ٣٤٪ في التاج ، بينما لم تزد أعلى نسبة للخماسي — الذي هو أثقل التراكيب — عن ٢,٥٪ وهي نسبة تمثل الندرة تمثيلاً صادقاً .

— أما الحكم بالغالبية والقلة والندرة فقد أخذناه من قول ابن هشام : « المطرد لايتخلف ، والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف ، والكثير دونه ، والقليل دون الكثير ، والنادر أقل من القليل . فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالبها ، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب ، والثلاثة قليل ، والواحد نادر . »(١) وترجمة هذا بالنسبة المئوية :

أن الغالب	٢٠	:	٢٣	=	نحو ٨٧ ٪
و الكثير	١٥	:	٢٣	=	نحو ٦٥ ٪
والقليل	٣	:	٢٣	=	نحو ١٣ ٪
والنادر	١	:	٢٣	=	نحو ٤ ٪

— ويستخلص من هذا — على ما أسلفنا — أن نسبة التراكيب الثلاثية بين تراكيب اللغة في أوسع معاجمها تتراوح بين الكثير والغالب . وهكذا يصدق ما قلناه من أن هذه اللغة العربية روعيت فيها الخفة من حيث قلة عدد الحروف في جمهور أبنيتها الأصلية .

أما وجه الخفة في التراكيب الثلاثية فيبدو في عبارة الخليل ، إذ يبين الحكمة في كون الاسم لا يقل عن ثلاثة أحرف : « والاسم لايكون أقل من ثلاثة أحرف : حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به الكلمة ، وحرف يوقف عليه »(٢) أي أن الثلاثي جاء على أقل ما يمكن أن تكون عليه الكلمة ، مع

---

(١) انظر المزهر ١/٢٣٤ — وهذا التحديد يقبل النظر من حيث اعتداد ١٥ من ٢٣ « كثيراً » فحسب ، ومن حيث الحكم على النسب بين ١٥/٢٣ و ٣/٢٣ بحكم واحد مع تفاوتها بين ما هو أكثر من النصف وما هو أقل من الربع .

(٢) انظر العين (درويش) ١/٥٥ .

قوة الكلمة(١) وتيسر نطقها . قال ابن جنى فى تعليله لكثرة الأبنية الثلاثية بخفتها : «وذلك أن الأصول ثلاثة : ثلاثى ، ورباعى ، وخماسى . فأكثرها استعمالا ، وأعدلها تركيباً ، الثلاثى . وذلك لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال الثلاثى لقلة حروفه حسب ، لو كان كذلك لكان الثنائى أكثر منه ، لأنه أقل حروفاً . وليس الأمر كذلك . ألا ترى أن جميع ما جاء من ذوات الحرفين جزء لاقدر له فيما جاء من ذوات الثلاثة ، نحو من ، وفى ، وعن ، وهل ، وقد ، وبل ، وكم ، ومن ، وإذ ، وصه ، ومه . ولو شئت لأثبت جميع ذلك فى هذه الورقة . وأقل منه ما جاء على حرف واحد ، كحرف العطف ، وفائه ، وهمزة الاستفهام ، ولام الابتداء والجر والأمر ، وكاف رأيتك ، وهاء رأيته . وجميع ذلك دون باب كم ، وعن ، وصه . والثلاثى — عارياً من الزيادة ، وملتبساً بها — مما يبعد تداركه ، وتتعب الإحاطة به (يعنى لكثرته) . فتمكن الثلاثى إنما هو لقلة حروفه لعمرى ، ولشيء آخر ، وهو حجز الحشو الذى هو عينه بين فائه ، ولامه . وذلك لتباينهما ، ولتعادى حاليهما : ألا ترى أن المبتدأ (يعنى الحرف الأول الذى تبدأ به الكلمة) لايكون إلا متحركاً ، وأن الموقوف عليه (يعنى الحرف الأخير إذا وقف عليه) لا يكون إلا ساكناً . فلما تنافرت حالاهما ، وسّطوا العين حاجزاً بينهما ، لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذاً فيه ، ومنصبّاً إليه»(٢) اهـ المراد هنا ، ثم قال : «فقد وضح إذاً — بما أوردناه — وجه خفة الثلاثى من الكلام . وإذا كان كذلك فذوات الأربعة مستثقلة غير متمكنة تمكن الثلاثى ؛ لأنه إذا كان الثلاثى أخف وأمكن من الثنائى — على قلة حروفه ، فلا محالة أنه أخف وأمكن من الرباعى لكثرة حروفه . ثم لا شك فيما بعد ، فى ثقل الخماسى ، وقوة الكلفة به»(٣) اهـ ثم ذكر قلة ما استعمل من تقاليب الرباعى والخماسى

---

(١) قوتها تتمثل فى أن لها وسطاً مكنوفاً من جانبيه محصناً — بصورة عامة — من التغيرات التى قد تعترى الحرف الأول والأخير .

(٢) الخصائص ١/٥٥ — ٥٦ بتصرف يسير ، إذ أخرنا عبارة «والثلاثى . . . الإحاطة به» عن موضعها ، واستغنينا عن عبارة جاءت أيضاً فى موضع آخر .

(٣) الخصائص ١/٦١ .

برهاناً على ذلك الثقل ، ثم قال : «فدل ذلك على استكراههم ذوات الخمسة ، لإفراط طولها ، فأوجبت الحال الإقلال منها ، وقبض اللسان عنها إلا فيما قل ونزر . ولما كانت ذوات الأربعة تليها ، وتتجاوز أعدل الأصول — وهو الثلاثي — إليها ، مسها بقربها منها قلة التصرف فيها ، غير أنها في ذلك أحسن حالاً من ذوات الخمسة ، لأنها أدنى إلى الثلاثة منها ، فكان التصرف فيها دون تصرف الثلاثي ، وفوق تصرف الخماسي»(١) اهـ .

— وما فصله ابن جني أجمله بهاء الدين في قوله : « الثلاثي أحسن من الثنائي والأحادي ، ومن الرباعي والخماسي » واستظهر لذلك بما اشترطه حازم القرطاجني وغيره لفصاحة الكلمة من كون حروفها متوسطة العدد (٢) .

— وهكذا وضح هذا الجانب الأول أو الصورة الأولى من صور حسن تأليف الكلمات في العربية — وهي الصورة الخاصة بقلة عدد الحروف التي تبنى منها غالبية ألفاظ اللغة العربية ، ووضح أن هذه القلة محكمة معتدلة لم تنزل إلى الحرف أو الحرفين(٣) ، ولم تسمح ببلوغ الأربعة والخمسة إلا على مستوى القلة والندرة .

— كما وضح أن وراءها حكمة هي تخفيف كلمات اللغة بحيث لا يمثل أداؤها جهداً مجاوزاً للحد المقبول . وإذ كانت هذه الخفة متحققة في الثلاثي ، ونسبته من ألفاظ اللغة بين ٦٣,٥ و٨٥,٧ في المئة منها فهذا يعني تحقق الخفة — في هذه الصورة — لأغلب ألفاظ اللغة .

— أما الرباعي والخماسي — وقد ذكر أنهما ثقيلان بالنسبة للثلاثي ، فإن للعرب أسلوبهم في تخفيفهما ، وسيأتي ذلك .

---

(١) الخصائص ١/٦٢ ، ويقصد بالتصرف استيفاء الصور المستعملة من تقاليب المادة . واستعمال هذه الصور من أهم روافد كثرة الثلاثي . وإهمال أكثر تقاليب المواد الرباعية والخماسية قلل عدد النوعين .

(٢) انظر المزهر ١/١٩٩ — ٢٠٠ .

(٣) أسلفنا أننا صرفنا النظر عن الحروف الأحادية والثنائية كواو العطف ومن الجارة لقلة عددها ، وواضح أن الأسماء الأحادية والثنائية كالكثير من الضمائر والموصولات والإشارات وأسماء الأفعال وأسماء الاستفهام والشرط : كل ذلك لا يشكل مجموعه نسبة مؤثرة . ولا تدخل هنا الأفعال التي وصلت بالإعلال إلى حرف أو حرفين . وإنما تحسب مع أصلها .

الصورة الثانية لحسن التأليف
تخفيف التراكيب الرباعية والخماسية بحروف الذلاقة

ـ أسلفنا ما قرروه من اعتدال الجذور الثلاثية وخفتها ، واستثقال الجذور الرباعية والخماسية . ولكن العرب لم يسيغوا التكوينات الرباعية والخماسية على أي حال كانت ، ليعانوا ثقلها بعد ، وإنما التزموا فيها ألاتخلو من واحد أو أكثر من حروف الذلاقة (ر ن م ل ب ف) التي هي أخف الحروف(١) ، فتخفف تلك الجذور الرباعية والخماسية باشتراك هذه الحروف الخفيفة في تكوينها . قال الخليل : « ولما ذلقت الحروف الستة ومَذِل بهن اللسان ، وسهلت في المنطق كثرت في أبنية الكلام . فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها . فإن ورد عليك خماسي معرى من الحروف الذُّلْق والشفوية(٢) فاعلم أنه مولد وليس من صحيح كلام العرب ، نحو الخضعثج والكثعضج وأشباه ذلك ، وإن أشبه لفظهم وتأليفهم فلاتقبلن منه شيئاً ، فإن النحارير ربما أدخلوا على الناس ماليس من كلام العرب إرادة التلبيس والتعنيت» .

« وأما بناء الرباعي المنبسط (يقصد الذي ليس مضاعفاً) فإن الجمهور الأكثر منه لايعرى من بعض الحروف الذلق إلا كلمات نحواً من عشر جئن شواذ ، فسرناهن في أمكنتها ، وهي العَسْجد ، والعَسْطوس ، والقداحس ، والدُّعشوقة ، والدَّهْدَعة ، والدَّهْدَقة ، والزَّهْزَقة . . . ولولا ما لزمهن من العين والقاف ما حَسُنَّ على حال ، ولكن العين والقاف لاتدخلان

---

(١) سبب خفتها خروجها من ذلق اللسان أو من الشفتين مع خروج النفس من الأنف في النون والميم وحركة ذلق اللسان والشفتين أخف الحركات على الناطق . لذا كانت أكثر الحروف تردداً في الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية على السواء .

(٢) الحروف الذلق هي (ر ل ن) والحروف الشفوية هي (ف ب م) وتطلق صفة الذلاقة عليهن جميعاً للخفة .

على بناء إلا حسنتاه ، لأنهما أطلق الحروف . أما العين فأنصع الحروف جرسا وألذها سماعاً ، وأما القاف فأصحها جرسا ، فإذا كانتا أو إحداهما فى بناء حسُن لنصاعتهما . فإن كان البناء اسماً لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف ، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها ، وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت ، وصارت حال السين بين مخرجي الصاد والزاي كذلك . فمهما جاء من بناء اسم رباعى منبسط معرى من الحروف الذلق والشفوية ، فإنه لا يعرى من أحد حرفى الطلاقة أو كليهما ، ومن السين والدال أو إحداهما ، ولا يضره ما خالطه من سائر الحروف الصُّتْم » . .

« وأما ما كان من بناء هذا الرباعى المنبسط من المعرّى من الحروف الذلق حكاية مؤلفة نحو دهداق وزهزاق وأشباه ذلك ، فإن الهاء لازمة له ، فصلا بين حرفيه المتشابهين — مع لزوم العين والقاف أو إحداهما ، وإنما استحسنوا الهاء فى هذا الضرب من الحكاية للينها وهشاشتها ، إنما هى نَفَس لا اعتياص فيها »(١) .

وقال مرة أخرى عن الحروف المذلقة أيضاً : « وحروفهما (يعنى المخرجين : الشفتين وطرف اللسان) أخف الحروف فى المنطق ، وأكثرها فى الكلام ، وأحسنها فى البناء . ولا يحسن بناء الرباعى المنبسط ، والخماسى التام إلا بمخالطة بعضها نحو : جعفر ، ودردق ، وسفرجل ، ودردبيس . وقد جاءت كلمات مُسَيَّنة شواذ نحو عسجد وعَسْطوس »(٢) .

وهكذا بسط الخليل فى أثر حروف الذلاقة ولزومها فى الأبنية الرباعية والخماسية لتخفيفها . وقد استخرجت من إحصائيات لسان العرب أكثر الحروف نسبة فى بناء الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية . وهى تصدق كلام الخليل بصورة عظيمة من حيث خفة هذه الحروف ، وكثرتها أى كثرة دورانها فى أبنية الكلم لذلك ، ومن حيث زيادة نسبة مشاركتها فى أبنية

---

(١) هذا النص من تهذيب اللغة ١/٤٤ — ٤٥ . وهو فى العين (درويش) ١/٥٨ — ٦١ باختلاف طفيف يتمثل فى تلخيص بعض العبارات أو الاستغناء عنها . ولعل هذا تصرف من الأزهرى أو كانت نسخته من العين هكذا .

(٢) تهذيب اللغة ١/٥٠ وانظر العين (درويش) ١/٥٨ .

الكلمات الرباعية والخماسية دليلا على اشتراكها فى كل منها على ما قال الخليل، ثم من حيث مشاركة العين والقاف لهذه الحروف فى كثرة دورانهما فى الأبنية، وذلك لما تميزتا به من نصوع وطلاقة أكسبتهما لذاذة مستمع تضارع خفة النطق، وأخيراً من حيث حسن السين والدال الذى يضارع الخفة كذلك.

أكثر الحروف دوراناً فى تراكيب اللغة ونسبة دورانها فى كل من أنواع الجذور

الجذور الثلاثية		الجذور الرباعية		الجذور الخماسية	
الحرف	نسبة دورانه مئوياً	الحرف	نسبة دورانه مئوياً	الحرف	نسبة دورانه مئوياً
ر	٦٫١ ٪	ر	١٠٫٨	ن	١١
ن	٥٫٨	ل	٧٫٨	ر	١٠٫٨
م	٥٫٥	ب	٧٫٤	ل	٩
ل	٥٫٣	ع	٦٫٥	ق	٧٫٤
ب	٥٫١	م	٦٫٤	ب	٧٫١
ع	٤٫٤	ن	٦٫٤	س	٥٫٩
ف	٤٫٣	ق	٥٫٧	د	٥٫٣
و	٤٫٢	د	٥٫١	ع	٥٫٢
د	٤٫٢	س	٤٫٦	م	٤٫٢
ق	٤	ج	٤٫٣	ط	٣٫٧
س	٣٫٧	ف	٤٫١	ج	٣٫٧
				ف	٣٫٤

هذه هى الحروف ذات أعلى النسب وروداً فى أنواع الجذور الثلاثة استخرجت من الجداول رقم ١ ، ٧ ، ١٥ فى إحصائيات جذور معجم لسان العرب، وترتيبت تنازلياً حسب ما ورد فى تلك الجداول تماماً. ويلاحظ:

(ا) أن هذه الحروف الأعلى نسبة ورود فى جذور اللغة هى حروف

الذلاقة أساساً ، وأن الذى اشترك مع حروف الذلاقة فى علو نسبة الورود هى الحروف التى نبه الخليل على أن لها حسناً وتقبلا وقلنا إن هذا الحسن يضارع خفة حروف الذلاقة . وهذه الحروف هى العين والقاف والسين والدال ، ولم يدخل بين هذه الحروف الأعلى نسبة دوران من غير المجموعتين إلا الواو فى الجذور الثلاثية ، والجيم فى الجذور الرباعية ، والجيم والطاء فى الجذور الخماسية . وهذا يصدق — بصورة عامة — كلام الخليل بشأن خفة حروف الذلاقة ، وكثرة دورانها فى الأبنية ، وبشأن ماقاله عن العين والقاف والسين والدال .

(ب) كما يلحظ أن نسبة دوران حروف الذلاقة ارتفعت — بصورة عامة — فى الجذور الرباعية والخماسية عما كانت عليه فى الجذور الثلاثية (الراء من ٦,١ فى الثلاثى إلى ١٠,٨ فى الرباعى والخماسى ، والنون من ٥,٨ فى الثلاثى إلى ٦,٤ فى الرباعى وإلى ١١ فى الخماسى والميم من ٥,٥ إلى ٦,٤ فى الرباعى لكنها انخفضت فى الخماسى إلى ٤,٢ واللام من ٥,٣ إلى ٧,٨ وإلى ٩ ، والباء من ٥,١ إلى ٧,٤ وإلى ٧,١ ، والفاء انخفضت قليلا . بل إن العين أيضاً ارتفعت من ٤,٤ إلى ٦,٥ وإلى ٥,٢ ، والقاف من ٤ إلى ٥,٧ وإلى ٧,٤ والدال من ٤,٢ إلى ٥,١ وإلى ٥,٣ ، والسين من ٣,٧ إلى ٤,٦ وإلى ٥,٩) . وكل هذا يصدق كلام الخليل بالنسبة لاشتراك حروف الذلاقة فى الأبنية الرباعية والخماسية ضرورة ، وبذلك ارتفعت نسبة وجودها فيها عن نسبة وجودها فى الجذور الثلاثية . بل إن كلام الخليل عن حسن العين والقاف والسين والدال ، وجد تصديقاً عظيماً فى هذا الجدول ، إذ تبين أن حسن هذه الحروف خففها وجعلهم يشركونها فى تكوين الرباعى والخماسى بنسبة أكبر من إشراكهم إياها فى الثلاثى كما أوضحناه ، أى أنها جرت مجرى حروف الذلاقة فى هذا أيضاً . وبذلك كله صدق ما قاله الخليل من أنهم يحسّنون الأبنية الرباعية والخماسية بحروف الذلاقة . والتحسين تخفيف وزيادة .

الصورة الثالثة لحسن التأليف
وهي ما التزم في مكونات الألفاظ العربية من الاتساق

— وقد أسلفنا أن ابن سنان مثل لما اختصت به العربية من تجنب كل ما يثقل على الناطق التلفظ به في الأكثر — مثّل لهذا الذي تجنبته بالجمع في بناء الكلمة بين الحروف المتقاربة في المخارج(١) ، وتناولت أمثلة الفارابي وابن فارس هذا النوع الذي يتجنب أيضاً(٢) . وسر هذا — بصورة عامة — أن الأشياء التي من نوع واحد إذا اختلفت جزئياً بحيث يوجد في هذا ما يفقد في ذاك فإنها قد تأتلف وتنسق تداخلا وتكاملا . ولكنها إذا تماثلت فإنها تتناظر وتتناد وقد لاتتداخل . وفي الحروف المتقاربة المخارج — إذا تجاورت — شيء كهذا ، فإن الالتزام بنطق كل منها من مخرجه يشبه حينئذ مشي المقيد ؛ إذ ما يكاد اللسان (مثلا) يفارق موضعه في نطق الحرف حتى يعود إلى الموضع نفسه تقريباً لينطق الحرف التالي من نفس المخرج أو من قريب منه . بينما التأليف من حروف متباعدة المخارج فيه تنويع قد يضاف إليه اختلاف الصفات ، فيحدث الائتلاف ويخف النطق بسبب ذلك التنوع ، كما أن هذا الاختلاف يبرز ملامح الكلمة ويوضح صورتها(٣) .

— وتباعد المخارج في تأليف الألفاظ العربية أمر متعارف متعالم ، فقد أنكر الخليل كلمة « الهعخع » واستشنع تأليفها(٤) ، كما قال إن العين والحاء لا تأتلفان في كلمة واحدة أصلية لقرب مخرجيهما ، قال الأزهري

---

(١) انظر سر الفصاحة ٥٠ ، ٥٨ ، ٩٧ .

(٢) انظر ديوان الأدب ١/٧٢ والصاحبي ٨٧ .

(٣) انظر الخصائص ٢/٢٢٧ .

(٤) انظر العين ٢/٢٧٤ ، وسر الفصاحة ٥٧ — ٥٨ .

وهو كما قاله الخليل(١) . وقد قرر هذه المقولة (أن تأليف الكلمة من حروف متقاربة المخارج يثقلها ويؤدى إلى إهمالها ، وتأليفها من حروف متباعدة يجعلها خفيفة مستحسنة) أيضاً ابن دريد(٢) ، وابن جنى(٣) ، وبهاء الدين(٤) . هذا بالإضافة إلى ما أسلفناه للفارابى وابن سنان . وقد نبهوا على بعض ما أهمل من التراكيب لثقله فى مواضع منتشرة فى المعاجم وغيرها(٥) .

— ولكن الدراسات الحديثة وضعت بين أيدينا إحصائيات دقيقة مأخوذة من واقع اللغة العربية فى المعاجم . وهى إحصائيات تكشف عن تحقق الاتساق فى بناء الكلمات العربية . ذلك الاتساق المتمثل فى تكونها من حروف متباعدة المخارج ، بحيث لايتتابع (= لايتجاور) فى بناء أى من الكلمات العربية حرفان متقاربا المخرج ، إلا فى نطاق النادر الذى لايؤثر فى الصورة العامة .

— وقد استخلصنا من إحصائيات التتابع العامة لمعجم لسان العرب سبع إحصائيات جزئية(٦) ، كل إحصائية منها خاصة بمجموعة حروف مشتركة فى المخرج العام أو متقاربة فى المخارج المتجاورة .

— والجدول رقم (١) للحروف الحلقية . ونحن نعلم أن الحلق مخرج مستطيل يمتد من فتحة المزمار بين الغشائين الصوتيين إلى أعلى الحلق حيث يلتقى

---

(١) انظر العين (درويش) ١/٦٨ وتهذيب اللغة ١/٥٥ .

(٢) انظر المزهر ١/١٩١ ، ١٩٠ .

(٣) انظر الخصائص ١/٥٤ ، ٦٣ وسر صناعة الإعراب (تحقيق السقا ومن معه) ١/٧٥ .

(٤) انظر المزهر ١/١٩٣ — ١٩٤ .

(٥) انظر مثلا العين ١/٦٨ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ٢/٢١٥ الخ ، والبيان والتبيين (هارون) ١/٦٩ ، والخصائص ١/٥٤ ، والصاحبى ٨٧ ، ثم مقدمة القاموس للشيخ نصر الهورينى .

(٦) هذه الإحصائيات والجداول كلها مستخرجة من الجداول ٩ ، ١٤ ، ٢٣ (جداول تتابع الحروف فى الجذور الثلاثية والرباعية والخماسية) فى كتاب إحصائيات جذور معجم لسان العرب . د. على حلمى موسى .

بمنطقة أقصى اللسان ، ونعلم أن ترتيب مخارج حروف الحلق فيه من أعمقه إلى أعلاه هو الهمزة فالهاء ثم العين فالحاء (على الراجح فى هذا الترتيب) ثم الغين فالخاء .

ـ وتلحظ فى ذلك الجدول أن البيوت (= الخانات) المعبرة عن عدد مرات تتابع الحرفين فى كلمات اللغة — مع تقدم الحرف الذى فى الضلع الأيمن (الرأسى) معظمها (٢٤ من ٣٦) عدد مرات التتابع فيه إما صفر (أى لم يتجاوروا على هذه الصورة فى أى من كلمات اللغة على الإطلاق) وإما عدد ضئيل (١ ، ٢ ، ٣) وهناك ستة بيوت (أ + هـ ، ح ، خ / هـ + ع / خ + ع + هـ / أ) التتابعات فيها بين ٥ ، ٨ وهذا كله لا يخرج عن نطاق النادر — إذا نسبناه إلى أكبر عدد للتتابع ، وهو تبع الراء للباء — ويبلغ ١٢٧ مرة(١) ، بالإضافة إلى أن مخرجى الحرفين فى أكثره (أعنى ما عدا الهمزة والهاء) تفصل بينهما مخارج أخرى ، أو متباعدان نسبياً .

— ١ —

	ا	ه	ع	ح	غ	خ
ا	—	٨	—	٦	١	٦
ه	٥	٧	٧	—	٣	١
ع	—	١٣	٢٢	—	—	—
ح	١	١	١	١٩	—	—
غ	—	٣	—	—	١٠	—
خ	—	—	٨	—	—	٢١

— ٢ —

	غ	خ	ق	ك	ج
غ	١٠	—	٣	—	٢
خ	—	٢١	٦	—	١٢
ق	٢	٥	٢٩	—	—
ك	٢	٤	—	١٩	١
ج	١	٩	١	١	٢٣

(١) انظر الجدول رقم ١٤ (ص ٦٢) فى إحصائيات جذور معجم لسان العرب .

-٣-

	ش	س	ز	ص	ض
ش	١٨	٧	٧	٧	—
س	—	٢٠	—	—	—
ز	—	—	١٩	—	—
ص	—	—	—	١٩	—
ض	—	—	٤	—	١٥

-٤-

	د	ت	ط	ث	ض	ذ
د	٢٥	١	٢	١٠	—	١
ت	٧	٢٣	٢	٤	١	١
ط	٤	١	١٩	٦	—	—
ث	١١	٦	١٢	١٩	—	—
ض	٩	١	٤	١	١٥	—
ذ	٢	—	١	—	—	١٦

-٥-

	ر	ل	ن
ر	٢٦	٧	٣٢
ل	٤	٢٥	١٥
ن	١٧	٤	٢٧

-٦-

	ث	ذ	ظ	ز	ض
ث	١٩	—	—	—	—
ذ	—	١٦	—	—	—
ظ	—	—	١٢	—	١
ز	—	—	—	١٩	—
ض	١	—	١	٤	١٥

-٧-

	ب	ف	هـ
ب	٣٢	—	٦
ف	—	٢٢	٤
هـ	١	١	٢٦

ـ أما تجاور المثلين — وهو الذى تقع بيوته فى خط الوتر فى الجدول — أعنى تتابع همزتين ، أو هاءين، أو عينين، أو حاءين، أوغينين ، أو خاءين — فإنه يقع بنسبة قليلة ، ولكنه ممتنع فى الهمزتين وحدهما ، وسنرى فى الجداول الأخرى أنه يقع فيها بنسبة قليلة أيضاً . وسر سماحهم بوقوعه أنهم يتخلصون من ثقله عادة بالإدغام .

ـ ولم يبد شاذاً عما سبق إلا تبع الهاء للعين ، حيث وقع ثلاث عشرة مرة ، ومع أنها تدخل فى نطاق القليل إلا أن ما سوغها هو الاختلاف الواضح بين هيئتى خروج الحرفين ، فالهاء تخرج بانفتاح الوترين وينفسح الحلق لنفسها دون أية عوائق ، ولذا قيل عنها إنها تَنَفُّس لا اعتياص فيها ، والعين ينفذ زميرها من بين ما يشبه السد الرخو فى الحلق ، وبذا كانت أنصع الحروف جرساً بينما الهاء أخفاها جرساً فساغ تتابعهما بتلك الصورة لذلك .

ـ أما فى سائر الجداول فيلحظ أولاً : أننا أضفنا إلى كل منها — ما عدا جدولى ٥ ، ٧ — حروفاً تقارب حروفه فى المخرج أو تشابهها فى جرس الصوت مع ذلك (فأضفنا إلى جدول ٢ حرفى الغين والخاء ثم الجيم ، وإلى جدول ٣ حرف الشين ثم الضاد ، وإلى جدول ٤ حرفى الثاء والضاد ، وإلى جدول ٦ حرفى الزاى والضاد) ، وبتأملها نجد أنها جميعاً ينطبق عليها كل ما قلناه عن الجدول رقم ١ من حيث : —

(ا) إن تتابع الحرفين المتجانسين (= اللذين مخرجهما العام واحد) فى الكلمة الواحدة غالباً ما لا يقع أبداً ، وإنه — إن وقع — فإنه لا يتجاوز فى عدد مرات وقوعه نطاق النادر (من ١ إلى ٧) وإن الحالات التى يبدو أنها تجاوز ذلك النطاق سوغها تباعد بين المخرجين حقيقى كما بين ج خ ، خ ج فى جدول ٢ ، وكما بين د ث ، ث ط ، ض د فى جدول ٤ ، بل إن ما وقع فى نطاق النادر بعضه يسوغه اختلاف قوى فى طبيعة الحرفين أو صفاتهما مثل خ ق ، ك خ

فى جدول رقم ٢ لأن الخاء رخوة مهموسة والقاف شديدة مجهورة ، والكاف شديدة . وكذلك الأمر بين الشين وحروف س ، ز ، ص فى جدول رقم ٣ حيث الشين متفشية الصوت وهن صافرات ، وبين التاء والدال حيث التاء مهموسة وهى متقدمة على الدال المجهورة — على الترتيب الطبيعى — بينما لايلتقيان بتقديم الدال إلا مرة واحدة . ونحو ذلك يقال فى الراء مع اللام فى جدول رقم ٥ ، وفى الباء مع الميم فى جدول رقم ٧ . وأما تجاوز نطاق الندرة فى الجدول رقم ٥ (ر ن ٣٢ مرة ، ل ن ١٥ مرة ، ن ر ١٧ مرة) فسببه أن النون لاتشترك مع اللام والراء فى المخرج إلا بقدر ضئيل هو ارتفاع طرف اللسان إلى سقف الحنك ، أما هواؤها وصوتها فيخرجان من الأنف . فهناك تباعد جزئى ولكنه جوهرى بين مخرج النون ومخرج اللام والراء ، وذلك بالإضافة إلى تميز جرس الصوت ، وذلاقة هذه الحروف التى تخفها وتيسر التقاءها .

(ب) وإن تتابع المثلين يقع بنسبة قليلة ، ومسوغه إمكان التخلص من ثقله بالإدغام عادة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وهناك صورة أخرى لكل ما قلت فيه التتابعات من الثلاثى استخلصناها من جدول تتابعات الثلاثى فى لسان العرب (١) — وبتأملها يتبين أن ما عدم التتابع بينه من الحروف — أو قل جداً — نوعان :

أولا : الحروف المتقاربة المخارج — وهذه قد بيناها تفصيلا فى مجموعة الجداول السابقة .

ثانيا : الحروف الغليظة ويتمثل غلظها فى ملئها الفم فى نطقها كحروف الإطباق ، أو الكلفة فى إخراجها كالثاء والذال والظاء ، وقد يقل التتابع

---

(١) انظر الجدول رقم ٦ ص ٤٥ فى إحصائيات جذور معجم لسان العرب .

بسبب تفاوت الحرفين تفاوتاً كبيراً فى الغلظ والرقة ، أو بسبب قوة التشابه بين جرسى الحرفين . . .

بيان بما امتنع تتابعه من الحروف أو قل — فى الجذور الثلاثية فى لسان العرب(١) .

أ + أ — (أى أن التتابع بين همزتين أصليتين فى كلمة ثلاثية لم يقع أبدا — الشرطة — تعنى أن عدد مرات التتابع صفر) / ظ ٣ (أى وقع التتابع بين الهمزة فالظاء فى كلمة ثلاث مرات) / ع — (التتابع بين الهمزة والعين صفر) / غ ١ (التتابع وقع مرة واحدة) /

ب + ف — (التتابع صفر) /

ت + ث ٤ / ذ ١ / ص — / ض ١ / ط ٢ / ظ — /

ث + ح ٢ / ذ — / ز — / س — / ش — / ص — / ض — / ظ — /

ج + ث ١ / ص ٢ / ض ٢ / ط ١ / ظ ٢ / غ ١ / ق ١ / ك ١ /

ح + أ ١ / خ — / ع ١ / غ — / هـ ١ /

خ + أ — / ح — / ظ ٢ / غ — / ك — / هـ — /

د + ت ١ / ذ ١ / ز ٣ / ص ٣ / ض — / ط ٢ / ظ ١ /

ذ + ت — / ث — / د ٢ / ز — / س — / ش — / ص — / ض — / ط ١ / ظ — / غ — /

ر + ظ ١ /

ز + ت ٢ / ث — / ذ — / س — / ش — / ص — / ض — / ط ٢ / ظ — /

س + ث + — / ز — / ش — / ص — / ض — / ظ — /

---

(١) هذا البيان مستخرج من الجدول رقم ٦ ص ٤٥ فى إحصائيات جذور معجم لسان العرب، ولم نأت فيه بما زاد عدد التتابعات بينه عن ٤ .

ش + ث ٥ / ض — /

ص + ث — / ج ٢ / ذ ١ / ز — / س — / ش — / ض — / ظ — /

ض + ت ٢ / ث ١ / ذ — / ز ٤ / س — / ش — / ص — / ط ٤ / ظ ١ / ق ١ /

ط + ت — / ج ٢ / د ٤ / ذ — / ص — / ض — / ظ — / غ ٤ / ق ٤ / ك ١ /

ظ + ت — / ث — / ج ١ / ح ١ / خ — / د — / ذ — / ز — / س — / ش — / ص — / ض — / ط ١ / ع ٣ / غ — / ق — / ك ١ / هـ / ى ٢ /

ع + أ — / ح — / خ — / غ — /

غ + أ — / ج ٢ / ح — / خ — / ظ ١ / ع — / ق ٣ / ك — /

ف + ب — /

ق + ج — / ك — /

ك + ج ١ / ض ٢ / ط — / غ ٢ / ق — /

ل + ر ٤ /

م + ب ١ / ف ١ /

ن + ل ٤ /

هـ + ح — / خ ١ / ظ ١ / غ ٢ /

و + و ١ /

ى + ى ١ /

ويمكن تحديد تتابعات هذا النوع الأخير — أخذاً من الجدول فى ما يلى :

ثص ، ثض ، جص ، جض ، جط ، جظ ، خظ ، دص ، ذز ، ذس ، ذش ، ذص ، ذض ، ذط ، ذظ ، سث ، سض ، شث ، شض ، صث ، صج ، صذ ، صض ، ضظ ، ضث ، ضس ، ضذ ، ضط ،

ضبظ ، ضبق ، طبج ، طذ ، طغ ، طق ، ظت ، ظج ، ظح ، ظخ ، ظد ، ظز ، ظس ، ظص ، ظط ، ظع ، ظغ ، ظق ، ظك ، ظه ، غظ ، كض ، كط ، هغ . وربما أدخلنا هنا بعض ما سبق فى ما امتنع تتابعه أو قلّ لقرب المخارج ؛ لاجتماع شيء من القرب مع شيء من الغلظ وما إليه فيه .

— هذا ، وقد ذكر ابن جنى وابن فارس — فى هذه المسألة — أن هناك من التركيبات مالا يتنافر ولا يثقل لكن العرب لم تستعمله ؛ إذ لم يريدوا استيعاب واستعمال جميع ما تيسر لهم استعماله من تركيبات الألفاظ(١) . وهذا يفسر مالا يبدو التنافر أو الثقل واضحاً فيه من التتابعات . ولا يمكن أن يتخذ من هذا القدر من التتابعات — التى لم تقع أبداً أو وقعت بقلة ، وليس بينها تقارب مخارج ، ولا يتضح فيها الغلظ — مطعن على تأثير تقارب المخارج والغلظ فى منع التتابعات أو قلتها ؛ لأن اطراد انعدام التتابعات أوقلتها فى جميع حالات تقارب المخارج يقطع بصدق هذه المقولة .



(١) انظر الخصائص ١/٥٩ ؛ والصاحبي (صقر) ٨٧ .

الصورة الرابعة . لحسن التأليف
ما يجريه العرب فى ألفاظهم التى يشعرون -
أو يستشعرون - ثقلها من أنواع التخفيف
كالإبدال ، والتقريب بكل صوره والحذف ، والزيادة

(أولا) التخفيف بالإبدال :

الإبدال معناه جعل حرف مكان آخر . ونقصد منه هنا ما كان للتخفيف . فيشمل الإبدال الصرفى بمعناه الواسع الذى يشمل الإعلال والإدغام ، وجانباً من الإبدال اللغوى(1) . ثم إننا سنرجىء الكلام عن الإدغام ، والإعلال بالحذف ، إلى الفصلة الخاصة التى ستعقد لكل منهما .

- والإبدال من أكبر وسائل العربية وأهمها لتخفيف أبنية الكلم وتحقيق السلاسة واليسر فى نطقها . ومواطنه فى العربية كثيرة منتشرة ، وسوف نعرض هنا أهم مقرراته صارفين النظر عن بعض التفاصيل وعما خالف تلك المقررات شذوذاً . . . .

ومن أجل الإيجاز فى بيان وجه التخفيف فى مقررات ذلك الإبدال نشير أولا إلى ما يستثقل فى العربية فى هذا المجال :

- الأصل أن الحروف الأبجدية وحركاتها كلها خفيفة . وإنما يستثقل بعضها بالنسبة إلى بعضها الآخر بسبب ما يحوج إليه نطق المستثقلات من الكلفة وذلك كالهمزة وسائر حروف الحلق بالنسبة لحروف الذلاقة مثلا . ثم إنه قد يعتريها بعد التركيب ثقل بسبب التضعيف أو الحركات أو تضاد

---

(1) لتحديد معنى مصطلح الإبدال وعلاقته بالقلب والإعلال بتلخيص — انظر القواعد والتطبيقات فى الإبدال والإعلال للشيخ عبد السميع شبانة 1 — 8 .

الصفات . وأثقل الحركات الضمة ، وأخف منها الكسرة ، والفتحة أخفهن جميعاً(١) . والأمر كذلك في واو المدّ وياء المد وألف المد : الواو أثقلها والألف أخفها(٢) . ثم إن الواو والياء والألف قد يفارقن حالة المدّ هذه ويكنّ صوامت (الألف تصير همزة) متحركات أو ساكنات. والواو حينئذ أيضاً أثقل من الياء ، وترجع الهمزة إلى ثقل المخرج .

— أما الحركات معهن فإن الضم والكسر يستثقلان على كل من الواو والياء(٣) ، ويستثقلان قبل كل منهما في بعض الحالات(٤) ، ويستثقل توالي واوين(٥) وتوالي ياءين(٦) ، ومجيء أي منهما (الواو والياء) تلو الأخرى(٧) . كما يستثقل توالي ضمتين ، وتوالي كسرتين ، ومجيء أي منهما تلو الأخرى (٨) . مع استثناء بعض حالات الفعل المبني للمفعول (٩) ، ومع التجاوز عن بعض التفاصيل .

— وقد ذكرنا أن الهمزة تستثقل للكلفة في إخراجها ، لأنه كالتهوع — على ما قال سيبويه(١٠) . ولكنها مع ذلك لها جلادة الحروف الصحاح وصلابتها ، وهذا يجعلهم يفرون أحياناً من حروف العلة إليها بالقلب عندما يقع أي من تلك الحروف موقعاً يجعله عرضة للضعف والفناء ، أو يحرك فيه بحركة ثقيلة عليه ، أو يتعذر نطقه فيه .

---

(١) انظر « الكتاب » ٤/٧٧ ، ٣٣٥ — ٣٣٦ ، ٣٨٣ .

(٢) « الكتاب » ٤/١٦٧ ، ٣٣٨ ، ٣٨٢ .

(٣) انظر الكتاب ٤/٣٨٢ .

(٤) الكتاب ٤/١٦٧ ، ٣٨٢ .

(٥) الكتاب ٤/٢٥٧ .

(٦) أخذاً من كراهة توالي واوين انظر الكتاب ٤/٣٨٢ .

(٧) لكراهية الواو بعد الياء انظر الكتاب ٤/١١١ ، ٣٦١ ، ٣٨٣ .

(٨) انظر شرح الرضي ١/٣٥ — ٣٦ .

(٩) كصيغ الثلاثي والفعل والانفعال عندما تبنى للمفعول .

(١٠) الكتاب ٣/٥٤٨ .

هذا ، والإبدال المقصود به التخفيف — قد يتمثل التخفيف فيه في إبدال الحرف الخفيف من آخر ثقيل — دون نظر إلى حرف آخر في الكلمة ، وقد يتمثل في الإتيان بحرف يناسب آخر في الكلمة بدلا من حرف لا يناسبه ، وهذا الأخير هو الإبدال للمقاربة أو التقريب بين حرفين .

(الإبدال لغير التقريب)

الإبدال للتخفيف في الوقف :

١ — تبدل تاء التأنيث المتصلة بالاسم هاء جوازاً عند الوقف مثل رحمة وصلاة(١) . ولا شك أن الإبدال مناسب تماماً لحالة الوقف ، لأن الهاء لا كلفة لها إنما هي نَفَس لا اعتياص فيها (٢) . فناسب ذلك حالة الوقف التي ينتهي فيها الإنسان إلى النَّفَس وحده .

٢ — وشبيه بهذا التخفيف المريح إبدال تنوين النصب ونون التوكيد الخفيفة ألف مد في الوقف(٣) مثل رأيت خالدا ، ولنذهبا . وألف المد أخف الحروف فهي أنسب لحالة الوقف .

الإبدال للتخلص من ثقل التضعيف :

أشرت من قبل إلى أن الحرف قد يثقل بتضعيفه . قال سيبويه : « اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم ، وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد »(٤) . ولكن الثقل في كون عين الفعل ولامه — مثلا — مثلين ثقل نسبي يتخلصون منه بالإدغام . ثم قد يحدث أن تضعف عين هذا الفعل فتجتمع ثلاثة أمثال يثقل عليهم نطقها ، لأن نطق المثلين يشبه مشي المقيد ، فقد يتخلصون من هذا الثقل بإبدال آخر تلك الأمثال حرف مد . ومن هذا أن رَبَّى أصلها ربَّب ، ودَسَّى في مثل قوله تعالى:

---

(١) انظر الكتاب ٤/١٦٦ .

(٢) هذه عبارة الخليل (العين — درويش ١/٦١) .

(٣) انظر الكتاب ٤/١٦٦ وشرح المفصل ١٠/٢٠ .

(٤) الكتاب ٤/٤١٧ .

« وقد خاب من دسّاها »(١) أصلها دسّس، ودلّى في قوله تعالى: « فدلاّهما بغرور »(٢) أصلها دلّل — من الدلالة ، وتصدية في : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاءً وتَصْدية »(٣) (أي صفيراً وتصفيقا) أصلها تصديد من صَدَّد ، وتصدّى في « فأنت له تصدّى »(٤) (أي تتعرض له) أصله تتصدّد ، ولم يتسنّه في « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه »(٥) (لم يتغير) أصلها يتسنّن — في أحد القولين ، وتلظّى في « فأنذرتكم ناراً تلظّى »(٦) أصلها تتلظظ ، ويتمطّى « فذهب إلى أهله يتمطّى »(٧) أصلها يتمطّط ، وتَسَرّى (أي اتخذ سُرِّية أي أمة للفراش) أصلها تسرّر ، وتلعّى (أي أصاب لعاعة أي يسيراً من الشراب أو الطعام) أصلها تلعّع ، ولبّيّ أصلها لبّب ، وتقضّى بمعنى انقضّ أصلها تقضض قال رؤبة :

تَقَضّيَ البازى إذا البازى كَسَر

وتقضّى الأمر أصلها تقصصه ، وتظنّى أصلها تظنّن . .(٨) وهذا مع كثرته وانتشاره ليس مقيسا .

— وواضح أن إبدال أحد أضعاف الحرف المضعف إلى حرف مد يخفف نطقه تخفيفاً كبيراً .

(ثانيا) — التخفيف بتقريب حروف الكلم بعضها من بعض :

• هذا التقريب يشمل عدة أبواب هي الإبدال ، والمضارعة بالمعنى الذي اخترناه ، والإمالة ، والإدغام ، والإتباع . وهذا الشمول نبه عليه

(١) س الشمس ١٠ .
(٢) س الأعراف ٢٢ .
(٣) س الأنفال ٣٥
(٤) س عبس ٦ .
(٥) س البقرة ٢٥٩ .
(٦) س الليل ١٤ .
(٧) س القيامة ٣٣ .
(٨) انظر في كل ذلك لسان العرب في تراكيب الألفاظ التي ذكرت ، والقلب والإبدال لابن السكيت ٥٨ وما بعدها ، وشرح المفصل ١٠/ ٢٤ — ٢٦ .

سيبويه(١) ومن بعده من الأئمة(٢) بربطهم بين الظواهر المعنونة بهذه الأبواب ، وتشبيههم بعضها ببعض ، وتفسيرهم لكل منها بأنه من تقريب الحروف بعضها من بعض . وكان ابن جنى أقوى الجميع تعبيراً عن دخول هذه الظواهر جميعاً تحت باب واحد ، حيث عقد باباً سماه باب الإدغام الأصغر(٣) ، وعرّف هذا الإدغام بأنه « تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك » . أدخل فيه ظواهر الإمالة ، إبدال فاء افتعل طاء ، إبدالها دالا ، إبدال السين قبل الحرف المستعلى صاداً كما فى صُقْت أى سقت ، قلب السين تاء فى ست (أصلها سِدْس ثم أبدلوا الدال أيضاً تاء وأدغموا) ، إتباع الحركات فى نحو شِعِير وبِعِير ، فتح عين المضارع إذا كان حلقى العين أو اللام ، الإتباع فى نحو الحمدُ لُله ، إشراب الصاد صوت الزاى فى نحو مصدر ، ولم يحرم من فُصْد له ، تخفيف الهمزة بين بين(٤) . ثم قال : « وجميع ما هذه حاله مما قرب فيه الصوت من الصوت جار مجرى الإدغام بما ذكرناه من التقريب ، وإنما احتطنا له بهذه السمة التى هى الإدغام الصغير ، لأن فى هذا إيذاناً بأن التقريب شامل للموضعين (يعنى الإدغام الأكبر والإدغام الأصغر) ، وأنه هو المراد المبغى فى كلتا الجهتين » (٥) . وكلامه هـذا الأخير قاله من قبـل عند الحديث عن الإدغام المعروف (إدغام المثلين ، والمتقاربين سكن الأول أو تحرك)

---

(١) انظر الكتاب ج ٤ حيث أطلق سيبويه التقريب على الإمالة وعلى الإدغام ص ١١٧ ، وعلى الإتباع ص ١٤٦ ، وعلى الإبدال ص ١٨٢ ، ٤٦٨ ، ٤٧٨ ، وعلى المضارعة ٤٧٩ وحيث شبه الإمالة بالمضارعة وبالإبدال ص ١١٧ ، وبالإدغام ١٢٩ ، وحيث شبه كسر الضمير فى به ونحوه بالإمالة وبالمضارعة ص ١٩٥ ، ١٩٦ وحيث سمى المقاربة إدغاماً ص ١١٧ ، والمضارعة إدغاماً ص ١٩٦ وتقريباً ٤٧٩ وهكذا .

(٢) انظر مثلا شرح المفصل حيث شبه الإمالة بالإدغام ٩/٥٤ ، وبالإبدال ٩/٥٥ ، ٥٧ وشبه الإبدال بالإمالة ١٠/٤٧ ، ٥٢ وجعل الإبدال من قبيل الإدغام ١٠/٥٣ وذكر فى ٩/٥٤ ، ٥٧ ، ١٠/٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ أن ذلك كله من تقريب الصوت إلى الصوت .

(٣) انظر الخصائص ٢/١٣٩ — ١٤٥ .

(٤) نفسه والظواهر مذكورة هنا على ترتيبها فيه .

(٥) نفسه ص ١٤٥ .

إذ قال بعد عرض أمثلة من أنواعه : « والجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت » (١) .

— ونظراً لأن الإدغام قد استقل بمعنى عرفى محدد ، ولأن المعنى الجامع لهذه الأبواب وهو تقريب الحروف بعضها من بعض يشمل الإدغام أيضاً ، ولأن ذلك المعنى الجامع قد ذكره سيبويه ومن بعده وربطوا به بين تلك الأبواب ، فقد فضلت أن أجعله هو عنوان هذه الظواهر ، بدلا من ذلك العنوان المشترك الذى وضعه ابن جنى .

هذا ، ووجه الخفة فى تلك الظواهر عبر عنه سيبويه بقوله : « ليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد من الحروف ، وليكون عملهم من وجه واحد »(٢) ووجهه بالنسبة للإدغام خاصة أن اللسان يرتفع بالحرفين مرة واحدة من موضع واحد (٣) .

وسندرس كلا من الظواهر المذكورة إن شاء الله تعالى ، إلا أننا سندرس أولاً ما وقع من هذه الظواهر فى الحروف(٤) . وسنقدم الكلام عن الإبدال التقريبى ليتصل بما قبله من الإبدال غير التقريبى . فإذا فرغنا من التقريب فى الحروف بكل صوره ، تناولنا التقريب فى الحركات ضمن موضوع حسن تأليف الحركات .

---

(١) نفسه ص ١٤٠ . (٢) انظر الكتاب ٤/٤٦٨ .

(٣) انظر مثلا الكتاب ٤/١٢٩ ، ٤٣٧ .

(٤) عرفت العلاقة بين الفتحة والضمة والكسرة من ناحية وبين الألف والواو والياء من ناحية أخرى وأن الأولى هى أبعاض الأخيرة منذ الخليل ، وبذا عدت حروف المد حركات طوالا . إلا أننا هنا سنعدها مع الحروف شاملة استعمال الواو والياء حرفين صامتين ، وكذلك الهمزة . وذلك لكثرة التداخل والتحول بينها وتيسيراً للبحث . وسنبقى الإمالة مع الحركات إذ ليس فيها قلب .

(الإبدال للتقريب)

الإبدال للتقريب بين حروف العلة (و ا ى ء) بعضها مع بعض أو مع الحركات :

١ — تبدل كل من الواو والياء همزة إذا وقعت أى منهما بعد (ألف زائدة) — فى الطرف كما فى سماء وأبهاء وقضاء (أصلهن سماو ، وأبهاو ، وقضاى — وتطرفهن يعرضهن للفناء) ، أو عيناً لاسم فاعل مثل صائغ ودائن (من صاوِغ وداين) ، أو بعد ألف مفاعل وشبهه (وقد كانت مدة زائدة فى المفرد) نحو حلائب وقصائد (من حلاوِب وقصايِد) أوثانى حرفى علة بينهما ألف مفاعل نحو نيائف وبوائع وسيائد (من نيايف وبوايِع وسياوِد) (١) وكل ذلك إبدال واجب ، وما بعد الحالة الأولى فهو للتخلص من الحركة الثقيلة .

٢ — ا — تبدل الواو همزة إذا وقعت أولى واوين فى صدر الكلمة وتحركت الثانية كأواصل جمع واصلة (وَوَاصل ، واجب — تخلصا من توالى واوين) فإذا كانت الثانية ساكنة كان جائزاً نحو وُورِى (٢) .

ب — تبدل الواو همزة — جوازاً — إذا ضمت مثل أجوه ، أثؤب (وجوه ، أثوب) أو كسرت وهى مصدرة مثل إشاح (وشاح) (٣) (على خلاف فى اطراد إبدال المكسورة هذه) .

---

(١) انظر القواعد والتطبيقات فى الإبدال والإعلال صفحة ١١ — ١٧ .

(٢) نفسه ١٨ ، ٢٣ .

(٣) نفسه ٢٠ ، ٢٣ ويشترط أن تكون الضمة لازمة وغير مخففة .

٣ — تبدل الياء همزة جوازاً إذا وقعت بين ألف وياء نسب نحو رائىّ وغائىّ فى النسب إلى راية وغاية (رايِىّ وغايِىّ) (١) .

٤ — تبدل الألف همزة إذا تطرفت بعد ألف زائدة نحو حمراء (حمراا) أووقعت بعد ألف مفاعل وهى مدة زائدة فى المفرد مثل رسائل(٢) (رساال) (تعذر نطقها ألفا فيهما) .

٥ — تبدل الألف ياء إذا انكسر ما قبلها أوجاء بعدها ياء مثل مصابيح وغُليّم (مصابِاح — غُلَيْام — تعذر)(٣) .

٦ — ا — تبدل الواو ياء إذا وقعت بعد كسرة : وهى متطرفة كَرَضِيَ والداعى (رَضِو ، الداعِو) ، أو وهى ساكنة : ميزان ميقات اعشيشاب (مِوْزان ، مِوْقات . اعْشِوْشاب) ، أو وهى عين المصدر : صيام وانقياد (صِوام . انقواد) ، أو وهى عين الجمع صحيح اللام : ديار وحيل (دِوَار ، حِوَل)(٤) .

ب — تبدل الواو ياء إذا وقعت متطرفة بعد ضمة فى اسم معرب : التدانى (التدانُوُ) ، أو وقعت لامَ اسم المفعول من الثلاثى المكسور العين : مرضى عنه (مرضُووٌ) مقوىّ عليه (مقوُووٌ — توالى واوات) ، أو لامَ فُعُول جمعا : دلىّ وعصى (دُلُووٌ ، عُصُووٌ — توالى واوين) ، أو وقعت لاما لوصف على فُعلى نحو الدنيا والعليا(٥) (دُنْوا وعُلْوا — الضمة فى الأول والواو قبيل الطرف دون حاجز قوى) .

تبدل الواو ياء جوازاً إذا وقعت عينا لجمع على فُعَّل مثل صُيَّم وجُيَّع (صوّم وجوّع — توالى واوين قبلهما ضمة)(٦) .

---

(١) نفسه ٢١ (٢) نفسه
(٣) نفسه ٤٨ . (٤) نفسه ٤٩ — ٥٣
(٥) نفسه ٥٧ ، ٦١ — ٦٦ (٦) نفسه ٦٧

٦ — تبدل الواو ياء إذا اجتمعت مع الياء وسكن السابق منهما (وشروط أخرى) نحو طيّ ، سيد (طوْى . سيْوِد)(١) .

٧ — تبدل الياء واواً إذا وقعت بعد ضم وهى ساكنة نحو موقظ وموسر (مُيْقظ و مُيْسر) أو وقعت بعد ضم وهى متطرفة نَهُو ، قضُو(٢) (نهُيَ . قضُيَ) .

٨ — إذا تحركت الواو — أو الياء — وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً مثل قال وخاف ومال (قَوَل - خَوِف - ميَل - من الخفيف إلى الأخف)(٣) .

٩ — ا — الهمزة إذا كانت واحدة جاز تخفيفها كما يلى — إن كانت مفتوحة وقبلها كسر أو ضم تبدل ياء كالمِيَر (مِئَر) أو واوا كالجُوَن (جُؤَن) (٤) . وإذا كانت مفتوحة وقبلها فتح أو كانت متحركة بغير الفتح وما قبلها متحرك فإنها تخفف بإبدالها إلى حركة بين بين . سأل ، لؤم ، درهمُ أختك ، لأمّه ، سَئِم ، سُئِل ، لإبلك(٥) . وإذا كانت متحركة وقبلها ساكن فيجوز تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على ما قبلها : مَنَ بُوك (من أبوك) ، مَنُ ملكَ (من أملك)(٦) . وإذا كانت هى ساكنة خففت — جوازاً — بإبدالها حرفاً من جنس حركة ما قبلها(٧) .

ب — إذا تتابعت همزتان فإن كانت الثانية ساكنة قلبت حرف مدّ من جنس حركة الأولى مثل آمن إيماناً (أأْمَنَ إأْمان) وإن سكنت الأولى أدغمت فى الثانية نحو سأل ورأس ، وإن تحركتا قلبت الثانية حرف علة نحو أيمة ، أُوبّ جمع أب

---

(١) نفسه ٥٨ — ٦٠ .
(٢) نفسه ٧٨ — ٨٣ .
(٣) نفسه ٩٢ — ٩٩ .
(٤) الكتاب ٣/٥٤٣ .
(٥) الكتاب ٣/٥٤١ — ٤٤ .
(٦) نفسه ٥٤٥ .
(٧) نفسه ٣/٥٤٣ — ٥٤٤ .

(على تفصيل) . وتلك الأحكام واجبة إن كان تتابع الهمزتين في كلمة ، وجائزة إن كان في كلمتين(١) .

١٠- إذا وقعت الواو أو الياء فاء لصيغة افتعل أو أي من فروعها أبدلت كل منهما تاء تدغم في تاء الافتعال . مثل اتّصل ، اتّسر(٢) (أصلهما اوتصل ، ايتسر — فتخففوا من ثقل الواو والياء في ذاتهما ، وثقل تقلبهما الكثير إذا لم يبدلا تاء)(٣) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

- إن تلك القواعد العامة المطردة ، والتي تتابع أبنية اللغة التي فيها حروف العلة الواو والياء والهمزة والألف — تتابعها في مختلف أوضاعها من تلك الأبنية ، وفي علاقاتها بعضها ببعض ، وبالحركات قبلها وبعدها لكي تحول الثقيل إلى خفيف ، والخفيف إلى أخف . . هذه المتابعة الدائبة بتلك القواعد العامة برهان تطبيقي لا جدال فيه ، على حرص هذه اللغة على خفة أبنيتها ، وعلى تحقق هذه الخفة أبلغ تحقق .

---

(١) انظر القواعد والتطبيقات (شبانة) ٣٦-٤٤

(٢) نفسه ١٠٢ — ١٠٤ .

(٣) خفيفة افتعل من وصل مثلا بدون إدغام تجرى هكذا (ايتصل يأتصل موتصل ايتصال ..)

الإبدال للتقريب بين غير حروف العلة

وقد عبّر سيبويه عن بعض ماهنا بالمضارعة — ومعناها اللغوى المشابهة — وقد استعملها هو بمعنى إشراب حرف صوت حرف آخر بحيث يضارعه(١). وهدف ذلك الإشراب هو تحقيق الانسجام بين هذا الحرف المشرَب وحرف آخر فى الكلمة التى تجمعهما. وبهذا الانسجام تخف الكلمة ؛ إذ تختصر عدد الهيئات التى تتخذها أعضاء النطق لأداء الكلمة. وقد أدخل ابن جنى ظاهرة المضارعة هذه ضمن ما سماه الإدغام الأصغر وهو تقريب الحرف من الحرف(٢).

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

١ — فى صيغة (افتعل) فاء الكلمة ساكنة ، وبعدها التاء الزائدة. وسكون فاء الكلمة يعنى أنه ليس هناك فاصل بينها وبين التاء (الحركة تفصل). فإذا كانت الفاء حرفاً يضاد التاء فى صفاتها ثقل النطق الدقيق لفاء الكلمة والتاء معاً ، فيتخلصون من هذا الثقل بإبدال التاء حرفاً يناسب فاء الكلمة :

أ — فالطاء أبدلت من التاء « إبدالا مطرداً إذا كانت فاء افتعل أحد حروف الإطباق وهى الصاد والضاد والطاء والظاء نحو اصطبر واضطرب واطرد واظطلم. والأصل اصتبر واضترب واطترد واظتلم. والعلة فى هذا الإبدال أن هذه الحروف مستعلية فيها إطباق (وتفخيم) ، والتاء حرف مهموس غير مستعل (وهو رقيق). فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف

---

(١) مصطلح المضارعة فى رأس فصل فى « الكتاب » ٤٧٧/٤ ، وكلامه هناك يفسره ، وقد استعمله الزمخشرى وابن يعيش وفسراه (انظر شرح المفصل ٥٢/١٠ — ٥٣).

(٢) انظر الخصائص ١٤١/٢ — ١٤٣.

يضاده وينافيه ، فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد ، وفى الطاء إطباق واستعلاء يوافق ما قبلها فيتجانس الصوت ، ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخف عليهم . . وهذا الإبدال وقع لازماً ، فلا يتكلم بالأصل »(١) .

ب — « ومتى كانت فاء افتعل زاء (أو دالا أو ذالا) قلبت التاء دالا . وذلك نحو ازدجر (وادّهن واذدكر) ، والأصل ازتجر (وادتهن واذتكر) . فلما كانت الزاء (والدال والذال) مجهورة ، والتاء مهموسة ، وكانت الدال أخت التاء فى المخرج ، وأخت الزاء (والدال والذال) فى الجهر قربوا صوت أحدهما من الآخر ، وأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاء (وأختيها) وهى الدال . فقالوا ازدجر (وادّهن واذ دكر) . . والمراد بذلك كله تقريب الصوت بعضه من بعض . . وهذا ونحوه قياس مستمر »(٢) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

٢ — « السين إذا وقعت قبل غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز إبدالها طاء كقولك صالغ (أصلها سالغ وهى المسن من البقر) ، و « أصبَغَ نِعَمه » (أسبغ) ، وصخّر (سخّر) ، وصلخ (سلخ) ، و « مَسّ صَقَر » (مس سقر) ، ويُصاقون ، وصُقت (كلاهما من سَوْق الدابة مثلا) ، وصبقت ، وصويق ، والصّملق (السملق : القاع الصفصف) ، وصراط ، وصاطع ، ومصيطر » (٣) قال ابن يعيش : « إنما ساغ قلب السين صاداً إذا وقعت قبل هذه الحروف من قِبَل أن هذه الحروف

---

(١) شرح المفصل ٤٦/١٠ — ٤٧ باختصار لتجنب الاستطراد وتكرار الأمثلة . ومابين الأقواس إضافة .

(٢) شرح المفصل ٤٨/١٠ — ٤٩ وقد أضفت وقوع الدال والذال فى فاء افتعل تبعاً للصرفيين (انظر شرح الرضى للشافية ٢٢٧/٣ ، والقواعد والتطبيقات شبانه ص١٠٧) . وأما الزمخشرى وابن يعيش فقد جعلا الموضعين من الإبدال للإدغام (شرح ابن يعيش ٤٩/١٠) وحافظت على نص ابن يعيش هنا [illegible] أن فى كلام سيبويه وغيره معناه لوضوحه ووفائه .

(٣) هذا النص للزمخشرى (شرح المفصل ٥٢/١٠) وما بين الأقواس إضافة للتوضيح .

مجهورة(١) مستعلية (ومفخمة لأن التفخيم لازم للاستعلاء) ، والسين مهموس مستفل (ومرقق) ، فكرهوا الخروج منه إلى المستعلى ، لأن ذلك مما يثقل ، فأبدلوا من السين صاداً ، لأن الصاد توافق السين فى الهمس والصفير (أى وهى مجانسة لها لأنهما من مخرج واحد) ، وتوافق هذه الحروف فى الاستعلاء (والتفخيم) فيتجانس الصوت ولا يختلف ، وهذا العمل شبيه بالإمالة فى تقريب الصوت بعضه من بعض من غير إيجاب»(٢) . وقد صرح البطليوسى وابن يعيش بقياسية هذا الإبدال بشروطه — أى مع كونه جائزاً .

٣ — « وإذا وقعت (السين) قبل الدال ساكنة أبدلت زاياً خالصة كقولك يَزْدَر إذا تحير (من سَدِر كفرح) ، ويزدِل فى يسدل ثوبه» إذا أرخاه . والعلة فى ذلك أن السين حرف مهموس ، والدال حرف مجهور ، فكرهوا الخروج من حرف إلى حرف ينافيه (أى مع سكون الأول ، واشتراك طرف اللسان فى إخراجهما) ، ولم يمكن الإدغام . فقربوا أحدهما من الآخر ، فأبدلوا من السين زايا ؛ لأنها من مخرجها ، وأختُها فى الصفير ، وتوافق الدال فى الجهر . فيتجانس الصوتان»(٣) .

٤ — « والصاد الساكنة إذا وقعت قبل الدال جاز إبدالها زايا خالصة فى لغة فصحاء من العرب . ومنه (المثل) « لم يُحْرَمْ مَنْ فُزْدَ لَه »،وقول حاتم : هذا فَزْدِى أنه . وقال الشاعر : « ... ترك ذى الهوى ... خير من الصرم مُزْدرا » . وجاز أن تضارع بها الزاى . فإن تحركت لم تبدل ، ولكنهم قد يضارعون بها الزاى (أى يشربونها جهر الزاى فتصير صاداً مجهورة) فيقولون صَدر ، وصدق، والمصادر ، والصراط (يعنى بالإشراب المذكور) ، قال سيبويه : «والمضارعة أكثر وأعرب من

---

(١) الخاء مهموسة ، وكأنه تكلم عن المجموع وفاته استثناء هذه .

(٢) شرح المفصل ١٠/٥١ — ٥٢ وما بين الأقواس الكبيرة إضافة للتوضيح .

(٣) انظر شرح المفصل ١٠/٤٩ ، والمزهر ١/٤٦٩ — ٤٧٠ .

الإبدال ، والبيان أكثر»(١) . وواضح من إطلاق الزمخشري جواز الإبدال والمضارعة عند سكون الصاد ، وإجازته المضارعة وحدها عند تحرك الصاد ، ومن قول سيبويه المذكور آنفاً أن جواز المضارعة في الصاد قبل الدال هو جواز عام قياسي ، وأن إبدالها زايا جائز في حالة سكون الصاد فقط (٢) .

٤ — قال الزمخشري : « ونحو الصاد في المضارعة الجيم والشين . تقول هو أجدر وأشدق » . وهو يعني أن الجيم والشين إذا سبقا الدال ساكنين ضورع بهما الزاي لتناسبا الدال(٣) . والواضح من سياق كلام الزمخشري — وسيبويه من قبله — أن جواز المضارعة في الجيم والشين الساكنتين قبل الدال هو جواز عام أيضاً(٤) . والأمر كذلك في الجيم قبل التاء في صيغة افتعل كاجدمعوا واجدرءوا (أي مع قلب التاء دالا) — كما هو مقتضى كلام سيبويه(٥) .

٥ — ويدخل في هذا النوع من الإبدال للمضارعة إبدال النون الساكنة ميماً إذا وقعت قبل الباء نحو « انبعث ، من بعد » وذلك لمباينة لين النون وغنتها لشدة الباء ، فجيء بالميم لمشاركتها النون في الغنة ، والباء في المخرج(٦) .

---

(١) شرح المفصل ١٠/٥٢ . وقوله (فزدله) أصلها (فصدله) بالبناء للمفعول . أسكنت الصاد تخفيفاً ، ثم أبدلت زاياً . وكانوا يفصدون الأنعام ليتبلغوا بدمها عند الشدة . وطلب إلى حاتم أن يفصد ناقة ، فعرقبها (لتنحر) وقال هذا فزدي أنه أي فصدي أنا . وكلمة مزدرا في البيت الذي جئنا ببعضه رسمت في الكتاب بالياء مع أنها من الصدر أو الإصدار — لا من الزراية .

(٢) شرح المفصل ١٠/٥٢ . (٣) نفسه ١٠/٥٣ — ٥٤ .

(٤) ذكرهما سيبويه في الباب بعد المضارعة في الصاد والإبدال في الزاي بدون تحفظ (الكتاب ٤/٤٧٩) وكذلك فعل الزمخشري (انظر شرح المفصل ١٠/٥٢ — ٥٣) .

(٥) عبارة الكتاب (٤/٤٧٩) بعد الكلام عن أجدر وأشدق : « وقد قربوها (أي الجيم) منها (أي الزاي) في افتعلوا حين قالوا : اجدمعوا أي اجتمعوا ، واجدرءوا يريد اجترءوا . لما قربها منها في الدال (يعني مع الدال) وكان حرفاً مجهوراً — قربها منها في افتعل لتبدل الدال مكان التاء ، وليكون العمل من وجه واحد » . وعد الزمخشري إبدال التاء دالا هنا لغة (شرح المفصل ١٠/٤٨ — ٤٩) .

(٦) انظر القواعد والتطبيقات ١٠٨ — ١٠٩ .

هذا ، ولم أقف عند إبدال الواو فى صدر الكلمة تاء كما فى تجاه ، وتراث ، وكما فى تُدْحَة (بالضم وكهمزة : الدُّحَة وخفض العيش) ، وتكأة (ما يتكأ عليه) ، ورجل تكلة ، وهى التخمة ، والتّهمة (الأربع كهُمَزَة) والتُّكلان ، والتقوى ، والتقية ، والتِلاد ، وترى (١) ... ونحوها ؛

ولا عند إبدال الهاء من الهمزة فى هرقت الماء ، وهرحت الدابّة ، وهنرت الثوب ، وهردت (أى أردت) ، وهياك (٢) ...

ولا عند ما هو إلى ذلك من المتفرقات غير المطردة .

كما لم أقف عند الإبدال اللغوى الذى لا يظهر فيه التخفيف (٣) .

---

(١) انظر شرح المفصل ١٠/٣٦ — ٤٩ .

(٢) نفسه ص ٤٢ — ٤٤ .

(٣) كالكثير مما فى كتاب القلب والإبدال لابن السكيت فانظره إن شئت .

(الادغـــام)

(وهو من التقريب كما ذكرنا من قبل ، لأنه لايتم إلا بإبدال الحرف المدغم ليكون مثلا للمدغم فيه) .

— سبقت الإشارة إلى أن تكرار الحرف فى كلمة ما يثقلها . قال سيبويه : « وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد (يعنى من موضع بعينه لحرف ما) ، ثم يعودوا له (من أجل نطق مثله) . فلما صار تعبا عليهم أن يداركوا (يعنى يتابعوا بين حرفين) فى موضع واحد ولا تكون مهلة ، كرهوه وأدغموا ؛ لتكون رفعة واحدة (أى لترتفع أو تنبو أعضاء النطق بهما مرة واحدة) . وكان (هذا الإدغام) أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك »(1) . فالإدغام إذاً للتخفيف .

— وقد أخذت به العربية سبيلا إلى تخفيف نطق الكلم أوسع أخذ حتى كاد يجرى فى كل تتابع لحرفين متماثلين أو متقاربين فى كلمة أو كلمتين .

— وسنوجز الكلام عن الإدغام لكثرة تفاصيله ، لكن بحيث نكون أهم معالمه واضحة إن شاء الله تعالى .

— الإدغام هو إدخال الحرفين المتتابعين — إذا كانا متماثلين أو متقاربين — أولهما فى الآخر ، بحيث يخرجان من مخرج واحد دفعة واحدة(2) . ويكون ذلك الإدغام بإسكان الحرف الأول إن لم يكن ساكناً ، وإبداله مع ذلك إلى مثل الثانى فى المتقاربين .

---

(1) الكتاب 4/417 وما بين الأقواس إضافة للتوضيح .

(2) هذا من جمع المعنيين اللغوى والاصطلاحى وانظر شرح الرضى 3/235 . وعبارة « أولهما فى الآخر » فى التعريف لا يعترض عليها بمثل « أحط » فى إدغام « أحطت » لأن مثل هذا نادر ، ويفسر بتغليب صفة الأول .

— وكما هو صريح فى التعريف فإن الإدغام إما أن يكون بين مثلين أو متقاربين.

(والأصل أنه يعنَى بالمتماثلين ما اتفقا مخرجاً وصفة (أى أن يكون الحرف الثانى مثل الأول تماماً أى هو تكرار الأول) ، ويعنى بالمتجانسين ما اتفقا مخرجاً واختلفا صفة (كمجموعة ت د ط فحروفها متجانسة وكذلك ز س ص ، ث ذ ظ وهكذا) وبالمتقاربين ما تقاربا مخرجاً أو صفة(١) كالباء مع الفاء . وسيأتى كثير من الأمثلة .

والقاعدة أن كل حرفين التقيا أولهما ساكن وكانا مثلين أو جنسين وجب إدغام الأول منهما لغة وقراءة . فالمثلان نحو اضرب بعصاك ... والجنسان نحو قالت طائفة ، هل رأيتم .. ما لم يكن أول المثلين حرف مد نحو «قالوا وهُم» ، «الذى يوسوس» ، أو أول المتجانسين حرف حلق نحو فاصفح عنهم) (٢) .

— ونحن نستعمل مصطلح المتقاربين هنا بما يشمل المتجانسين أيضاً .

ويمكن القول بصورة عامة إن إدغام المثلين يكون واجباً فى حالتين :—

(أ) إذا سكن المِثل الأول وتحرك المِثل الثانى سواء كانا فى كلمة مثل الحَبّ (جمع حبة) واللُّبّ والحجّة والجدّ والعزّة الخ ونحو مدعوّ ومرضيّ (أصلهما مدعوو ومرضوو) ، أو فى كلمتين نحو قلْ لَه ، قد دّخل ، اضرب بّه (٣) .

(ب) إذا تحركا وهما فى كلمة واحدة نحو صبّ وفرّ ، أهلّ ، وسارّ ، وتقالّ ، واشتدّ ، واستمرّ (وسائر الأفعال المضعفة فى العين

---

(١) من الإتقان النوع ٣١ (١/٩٦ من الطبعة غير المحققة) .

(٢) نفسه .

(٣) يشترط ألا يكون الأول هاء سكت ، أو مداً فى الآخر ، وألا يؤدى إلى التباس بناء ببناء . ويصبح جائزاً فى مثل قووى (المخففة من قوّوى) . انظر القواعد والتطبيقات ١٦٨ — ١٦٩ .

واللام دون فاصل أو مانع إدغام ، لأن الأصل فى الفعل تحرك عينه) (١) ونحو الأشدّ ، والأظلّ ، ومعدّ ، والمحبة . . الخ .

ويكون جائزاً فى الحالات الآتية :

(أ) إذا تحركا وهما فى كلمتين نحو فيه هدى ، قال له ، نعم ما فعلت(٢) .

(ب) إذا تحركا فى كلمة لكن حركة الثانى عارضة نحو اردد القوم (حركة الدال الثانية للتخلص من التقاء الساكنين ، فإذا قلنا ارْدُد خالدا ذهبت) فيجوز أن يدغم فيقال ردّ القوم (٣) .

(حـ) إذا كانا تاءين فى افتعل ، أو فى صدر الماضى تفعل أو تفاعل ، أو تاءين مزيدتين فى صدر مضارع أى من الصيغتين فيجوز أن يقال فى اكتتب كَتَّب وكذا يجرى الإدغام فى المضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل الخ(٤) . ويجوز فى تَتَبَّع وتَتَابع اِتَّبَّع واتَّابع ، وكذلك المضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل الخ فيقال يَتَّبَّع ويَتَّابَع ومتَّبِّع ومتَّابِع الخ(٥) .

ويجوز فى تتنزل وتتناوم : لا تَّنَزَّل ، لا تَّنَاوَمْ (٦)

(د) إذا كانا فى مضارع أو أمر مضعفين سكن آخرهما لغير نون النسوة

---

(١) هذا الأصل فى الثلاثى مجرداً ومزيداً — ولا يستثنى من ذلك إلا صيغتا فعلل (قلنس) ، وفعيل (زهيأ) . أما الرباعى فالعين تسكن فى مجرده فعلل (دحرج) ، وفى تفعلل (تدحرج) من مزيده . انظر الاستدراك للزبيدى ٣٨ — ٤٠ .

(٢) القواعد والتطبيقات ١٧٢ . (٣) نفسه ١٧٣ .

(٤) انظر شرح الرضى الشافية ٣/٢٣٩ — ٢٤٠ . والمضارع يكتب (ياء المضارعة مفتوحة على الأصل فى صيغة افتعل) والكاف مفتوحة إذ نقلت إليها فتحة التاء الأولى والتاء مشددة مكسورة ، والأمر يؤخذ من المضارع ، والمصدر كتاب بكسر الكاف نقلا من التاء الأولى ، والتاء مشددة .

(٥) انظر شرح الرضى الشافية ٣/٢٤٠ .

(٦) يشترط للإدغام هنا أن يسبق بمد أو حركة .

نحو لم يردد ، اردد ، ولم يستحفف واستحفف . فيجوز أن يقال لم يردّ ، ردّ ، ولم يستعفّ ، واستعفّ (١) .

— وكل حرف من الحروف الأبجدية يمكن أن يدغم فى مثله — إذا انتفت الموانع — ما عدا حروف المد : فلا إدغام فى نحو ظلموا واثلا ، قوولِه اكتبى ياسرا . وتتابع ألفى مدّ متعذر .

— وهناك أربع صيغ لايدغم فيهن المثلان هن : فَعَل كسَبَب ، وفُعُل كذُلُل، وفِعَل كعِلَل ، وفُعَل كدُرَر (٢) . كما أن هناك موانع للإدغام (٣) .

إدغام المتقاربين :

والإدغام بين المتقاربين من أدل الدلائل على حرص العربية على تخفيف كلمها ، وأنها لاتدع ظرفاً أو وضعاً يؤدى إلى التخفيف إلا اهتبلته . لقد مرّ أنهم يدغمون المثلين المتتابعين سواء أكانا فى كلمة أم فى كلمتين . والآن فإننا بصدد بيان أنهم يدغمون المتقاربين سواء كانا فى كلمة أو فى كلمتين أيضاً . قال ابن يعيش : « اعلم أن الحروف المتقاربة تجرى مجرى الحروف المماثلة فى الإدغام ؛ لأن المتقاربين كالمماثلين ؛ لأنهما من حيز واحد . فالعلة الموجبة للإدغام فى المثلين قريب منها فى المتقاربين ، لأن إعادة اللسان (يعنى عند نطق المقارب) إلى موضع قريب مما رفعته عنه ، كإعادته إلى نفس الموضع الذى رفعته عنه ، ولذلك شبه بمشى المقيد . فإذا التقى حرفان متقاربان أدغم الأول منهما (أى بعد إسكانه إن لم يكن ساكناً) فى الثانى »(٤) اهـ .

---

(١) انظر لبعض التفاصيل — القواعد والتطبيقات ١٧٢ — ١٧٦ .

(٢) انظر القواعد والتطبيقات ١٧٦ .

(٣) نفسه وأهمها أن يتصل أولهما بمدغم نحو تردّد ، أوثانيهما بضمير رفع متحرك نحو حللت ، أو يكونا فى وزن ملحق نحو مهدد .

(٤) شرح المفصل ١٠/١٣٢ .

— ثم إنه قد اشترط لجواز إدغام المتقاربين فى كلمة ألا يؤدى إلى التباس بناء ببناء(١) . فيجوز فى الوَتِد (كفرح) وَدّ(٢) ، وفى العُتُد (جمع عتاد) عُدّ ، وقد جمعوا العتود (الجدى الجذع) على عِدّان (والأصل عِتْدان) (٣) وقالوا امّحى الشىء (والأصل انمحى) وقالوا هَمَّرِش فى هَنْمَرِش (العجوز المسنة) (٤) . ولم يقولوا فى الفعل من نحو (وتد) وَدّ يَدّ لئلا يتوهم أنه من تركيب (ودد) وكذلك كرهوا الإدغام فى كُنْية ، وشاة زَنْماء وغنم زُنْم ، وقنواء وقِنْية كراهية الإلباس(٥) .

والآن فإننا سنعرض الحروف مبينين ما يدغم فيه كل حرف منها سواء ورد ذلك فى كتب اللغة أو فى كتب القراءات الصحيحة ولو كان مختلفاً فى القراءة به ، لأنه تبين من المعارضة أنه قد يسقط هنا من حالات الإدغام ما يذكر هناك(٦) — ولأن القراءات الصحيحة ليس فيها إلا ما يوافق العربية ولو بوجه — على ما هو الضابط فى ذلك(٧) . والقراء يقسمون الإدغام إلى صغير وهو ما سكن أول الحرفين فيه ، وكبير وهو ما تحرك أول الحرفين فيه . وهم يطبقون فى كل منهما على المتماثلين والمتقاربين على السواء(٨) .

---

(١) نفسه وانظر الكتاب ٤/٤٥٥ .

(٢) شرح المفصل ١٠/١٣٢ .

(٣) انظر اللسان (عتد) .

(٤) شرح المفصل ١٠/١٣٣ .

(٥) نفسه ١٣٢ — ١٣٢ .

(٦) العمدة فى هذا العرض من كتب اللغة كتاب سيبويه ، وشرح المفصل ، ومن كتب القراءات التيسير للدانى والإقناع لابن الباذش ثم الإتقان . أما مسألة سقوط حالة إدغام فإنه لا يسقط من كتب القراءات ذكر حالة من حالات الإدغام الجائز أو الواجب إلا إذا كانت صورة التقاء الحرفين الواقع بينهما الإدغام لا توجد فى القرآن الكريم . أما كتب اللغة فقد يسقط منها ، لسعة اللغة وصعوبة استقرائها .

(٧) قال ابن الجزرى : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها .. » ورد هذا الضابط إلى الأئمة : الدانى ، ومكى بن أبى طالب ، والمهدوى (وهم متوفون فى القرن الخامس) وقال إن الإمام أبا شامة حققه ، وإنه مذهب السلف لا يعرف عن أحد منهم خلافه . (النشر ١/٩) .

(٨) انظر الإتقان أول النوع الحادى والثلاثين .

وقد أسلفنا القول في المتماثلين . فكلامنا هنا على المتقاربين ـ والتقارب في هذه المعالجة يشمل التجانس كما قدمنا . وسوف نتخفف من الأمثلة أحياناً محيلين على المراجع :

الهمزة : لاتدغم في مقاربها ، ولا يدغم مقاربها فيها . وإنما تخفف بالتغيير والحذف(١) .

الألف : لاتدغم في الهاء ، ولا في ما تقاربه(٢) .

البــاء : تدغم في الفاء اذهب في ذلك (اذهفّى ..) . «وإن تعجب فعجب»(٣) . وتدغم في الميم اصحب مطرا (اصحمّطرا) « اركب معنا »(٤) .

التــاء : أدغمت في ث ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ (في اللغة والقراءة معاً ـ مع إدخال إدغام تاء التأنيث) ، وأدغمت في ج (في القراءة فقط) «وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات» ، وفي د (في اللغة فقط) .. ومن أمثلة سيبويه : انعت دّلاما (٥) .

الثــاء : تدغم في ت ، ذ ، س ، ش ، ض (في اللغة والقراءة معاً) ، وفي د ، ز ، ص ، ط ، ظ (في اللغة فقط) «وورث سليمان داود» . ابعث ذلك(٦) .

الجيم : تدغم في ش (في اللغة والقراءة) ، وفي ت (في القراءة وحدها) «من الله ذي المعارج تّعرج الملائكة» . ابعج شّبثا(٧) .

---

(١) انظر الكتاب ٤/٤٤٦ .

(٢) نفسه .

(٣) الكتاب ٤٤٨ والإتقان ١/٩٥ .

(٤) الكتاب ٤/٤٤٧ والإتقان ١/٩٥ .

(٥) الكتاب ٤/٤٦٠ — ٤٦٦ والإتقان ١/٩٤ ، ٩٥ والآية من س ابراهيم ٢٣ .

(٦) الكتاب ٤/٤٦٠ — ٤٦٦ والإتقان ١/٩٤ والآية من س النمل ١٦ .

(٧) الكتاب ٤/٤٤٩ ، ٤٥١ والإتقان ١/٩٤ والآية من س المعارج ٤

الحاء : تدغم فى ع «فمن زحزح عن النار» ، امدح عـرفة (١) .

الخاء : تدغم فى غ (فى اللغة فقط) ، اسلخ غـنمك (٢) .

الدال : تدغم فى ت ، ث ، ذ ، ز ، س، ش، ص، ض ، ظ (فى اللغة والقراءة معاً) وتدغم فى ج (فى القراءة فقط) ، وتدغم فى ط (فى اللغة فقط) «من كان يريد ثـواب الدنيا . .» انقد طالبا(٣) .

الذال : تدغم فى ت، د ، ز ، س ، ص ، ظ . وذلك فى اللغة والقراءة كليهما . وتدغم (فى القراءة فقط) فى الجيم ، (وفى اللغة فقط) فى ث ، ش ، ض ، ط . «إذ جعل فيكم أنبياء» . خذ شنباء(٤) .
(أدخلنا ما تدغم فيه ذال «إذ» وواضح أنها لاتنفرد إلا بالجيم)

الراء : تدغم فى ل (فى القراءة فقط) «هن أطهر لـكم»(٥) .

الزاى : تدغم (فى اللغة فقط) فى س ، ص . أوجز صّابرا . وعنها فى القراءات قال فى الإقناع : «ولاتدغم هى فى غيرها»(٦)

السين : تدغم فى ز «وإذا النفوس زّوجت» . احبس زّربدة . وتدغم (فى اللغة فقط) فى ص ، (وفى القراءة فقط) فى ش «واشتعل الرأس شّيبا» مع اختلاف قوى(٧) .

---

(١) الكتاب ٤/٤٥١ والإقناع ١/٢٠٩ والإتقان ١/٩٤ والآية من س آل عمران ١٨٥ .
(٢) الكتاب ٤/٤٥١ .
(٣) الكتاب ٤/٤٦٠ — ٤٦٦ والإتقان ١/٩٤ ، ٩٥ والآية من س النساء ١٣٤ .
(٤) الكتاب ٤/٤٦٠ — ٤٦٦ والإقناع ١/٢١٣ ، ٢٤٠ والإتقان ١/٩٤ ، ٩٥ والآية من س المائدة ٢٠ .
(٥) انظر الكتاب ٤/٤٤٨ وشرح المفصل ١٠/١٤٣ والإقناع ١/٢١٣ والإتقان ١/٩٤ والآية من س هود ٧٨ .
(٦) انظر الكتاب ٤/٤٦١ — ٤٦٢ ، ٤٦٤ — ٤٦٥ والإقناع ١/٢١٤ .
(٧) انظر الكتاب فى الموضع السابق والإقناع ١/٢١٥ والإتقان ١/٩٥ . والآية الأولى من التكوير ٧ ، والثانية من س مريم ٤ .

الشين : تدغم (فى القراءة فقط) فى س « إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سّبيلا» وحدها (١) .

الصاد : تدغم (فى اللغة فقط) فى ز ، س . افحص زّردة ، افحص سّالما . وعنها فى القراءات قال فى الإقناع : « ولاتدغم فى غيرها »(٢) .

الضاد : تدغم (فى القراءة فقط) فى ت ، ج ، ذ ، ز ، ش ، ظ « الذى أنقض ظّهرك »(٣) . وتدغم فى ط (فى اللغة فقط) اطّجع(٤) .

الطاء : (ذكر فى الإقناع أنها تدغم فى التاء مثل « أحطت بما لم تحط به» مع بقاء الإطباق ثم ذكر أنهما والدال من مخرج واحد يدغم بعضهن فى بعض . ولم يزد) أما فى اللغة فهى تدغم فى ت ، ث ، د ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ظ . ومن أمثلة سيبويه اضبط ضّرمة(٥) .

الظاء : تدغم (فى اللغة فقط) فى ت ، ث ، د ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط . احفظ ثّابتا . أما (فى القراءة) فقد قال فى الإقناع : « إن ما روى عن أبى عمرو من إدغام الظاء فى التاء فى « أوعظّت » ليس بمأخوذ به عند القراء ، وإن كان جائزاً(٦) » .

---

(١) انظر الكتاب ٤/٤٤٨ والإقناع ١/٢١٥ والآية من س الإسراء ٤٢ .

(٢) انظر الكتاب ٤/٤٦١ والإقناع ١/٢١٦

(٣) انظر الإقناع ١/٢١٦ — ٢١٧ .

(٤) وضعوا الضاد ضمن الحروف التى لا تدغم فى مقاربها ويدغم مقاربها فيها (شرح المفصل ١٠/ ١٣٣ ، شرح الرضى الشافية ٣/ ٢٧٠) مع علمهم أن سيبويه روى فى اضطجر اضجر ، وفى مضطجع مضجع ومطجع (الكتاب ٤/ ٤٦٨ ، ٤٧٠ وشرح المفصل ١٠/ ١٤٠) ، والحالتان إدغام إلا أنه فى اضجر ومضجع غلبت الضاد كما غلبت الطاء فى أحط (أى أحطت) .

(٥) انظر الإقناع ١/ ٢١٧ — ٢١٨ والكتاب ٤/ ٤٦٠ — ٤٦٦ ولم تذكر الطاء بإدغام فى التيسير أو الإتقان .

(٦) انظر الكتاب ٤/ ٤٦٠ — ٤٦٢ والإقناع ١/ ٢١٨ . واللفظ « أوعظت » من س الشعراء ١٣٩ وليس لإدغام الظاء ذكر فى التيسير أو الإتقان .

العين : تدغم (فى اللغة فقط) فى ح ، ه مثل اقطع حملا ، اقطع هلالا (يقلبان حاء) . (وفى القراءة) روى إدغامها فى غ «واسمع غير مسمع»(١) .

الغين : تدغم (فى اللغة فقط) فى الخاء . ادمغ خالدا . وروى إدغامها (فى القراءة فقط) فى القاف «لاتزغ قلوبنا»(٢) .

الفـاء : تدغم (فى القراءة فقط) فى الباء — على اختلاف قوى — «إن نشأ نخسف بهم الأرض» . وقال فى الإقناع : «جاء عن العرب إدغامها فى الباء»(٣) .

القاف : تدغم فى الكاف . «وقد خلقكم أطوارا» — الحق كلدة(٤) .

الكاف : تدغم فى القاف . «ويجعل لك قصوراً» — انهك قطنا (٥) .

اللام : تدغم فى ر ، ن . ولام أل تدغم فى ت ، ث ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ن . وجاء فى القراءات أن لام هل ، بل تدغم فى ت ، ث ، ز ، س ، ض ، ط ، ظ ، ن على تفاصيل فى ذلك(٦) .

---

(١) الكتاب ٤/٤٤٩ ، ٤٥١ والإقناع ١/٢١٨ — ٢١٩ والآية من س النساء ٤٦ وليس لإدغام العين فى الغين ذكر فى التيسير أو الإتقان .

(٢) الكتاب ٤/٤٥١ والإقناع ١/٢١٩ والآية من س آل عمران ٨ وليس لإدغام الغين فى القاف ذكر فى التيسير أو الإتقان .

(٣) ذكرت الفاء ضمن الحروف التى لا تدغم فى مقاربها فى الكتاب ٤/٤٤٧ وشرح المفصل ١٠/١٣٣ وشرح الرضى ٣/٢٧٠ ، وانظر لإدغامها التيسير ٤٤ والإتقان ١/٩٥ وكلمة الإقناع فيه ١/٢٢٠ .

(٤) الكتاب ٤/٤٥٢ والتيسير ٢٣ والإقناع ٢/٢٢٠ — ٢٢١ والإتقان ١/٩٥ والآية من س نوح ١٤ .

(٥) الكتاب ٤/٤٥٢ والتيسير ٢٣ والإقناع ٢/٢٢٢ والآية من الفرقان ١٠ .

(٦) الكتاب ٤/٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ وانظر التيسير ٢٧ ، ٤٣ والإقناع ١/١٩١ — ١٩٢ ، ٢٢٣ — ٢٢٧ ، ٢٤٢ .

الميم : (تخفى مع الباء ، ولاتدغم فى شىء) (١) .

النون : تدغم فى ر ، ل ، م ، و ، ى . من رأيت؟ «ومن يقل»(٢)

الهـاء : تدغم (فى اللغة فقط) فى الحاء والعين . اجبه حملا ، اجبه عنبة (مع قلبهما حاء) . ولم يذكر لها إدغام فى كتب القراءات(٣) .

الواو : تدغم فى الياء (إذا كانت الواو ساكنة) نحو طىّ ، شىّ ، لىّ مصادر طوى وشوى ولوى .

اليـاء : تدغم فى الواو (إذا كانت الياء ساكنة وتقلب الواو ياء) نحـو أيام (جمع يوم والأصل أيوام) ونحو سيد (والأصل سيود) (٤) .

(صيغ افتعل وتفعل وتفاعل) .

هذه الصيغ تستحق وقفة خاصة بالرغم من أن جزئيات الإدغام فيها تدخل كلها أوجلها فى الصور الجامعة التى قدمناها ، وذلك لكثرة جريانها(٥) ، مما جعل تخفيفها أكثر ضرورة ، وأغلب تخفيفها بالإدغام . ثم إن الإدغام فيها فى كلمة واحدة لافى كلمتين — كأكثر ما مثلنا له . فوجب عرض تخفيفها متكاملا .

— صيغة افتعل : تتوسط التاء فيها بين فاء الكلمة وعينها كما نرى . ثم

(١) انظر الكتاب ٤/٤٤٧ ، والتيسير ٢٨ وفى الإقناع ١/١٧٧ — ١٨٢ مناقشة عن إدغام الميم فى الفاء .

(٢) انظر الكتاب ٤/٤٤٨ — ٤٥٣ ، والتيسير ٤٥ .

(٣) انظر الكتاب ٤/٤٤٩ — ٤٥١ والتيسير ٢٢ — ٢٩ ، ٤١ — ٤٥ والإقناع ١/٢٣٢— ٢٣٤ .

(٤) انظر شرح المفصل ١٠/١٣٤ ، ١٣٩ ، وشرح الرضى الشافية ٣/٢٧٠ — ٢٧١

(٥) علل فى شرح الرضى الشافية ٣/٢٨٧ لوجوب تخفيف افتعل بكثرة استعمالها فيستثقل فيها أدنى ثقل .

قد تكون فاء الكلمة تاء أيضاً أو حرفاً مقارباً للتاء ، وقد تكون عين الكلمة تاء كذلك أو حرفاً مقارباً للتاء فهذه أربعة احتمالات ، والخامس ألا تكون فاء الكلمة التي على وزن افتعل ، ولا عينها — تاء ولا حرفاً مقارباً للتاء مثل اقتعد . وهذا الاحتمال الخامس لا كلام لنا فيه .

(أ) فإذا كانت فاء افتعل تاء وجب إدغامها فى تاء افتعل لأنهما مثلان التقيا وأولهما ساكن نحو اتّرك ، اتّرس(١) .

(ب) وإذا كانت فاء افتعل حرفاً مقارباً للتاء (د ط ، ث ذ ظ ، ز س ص ، ض) جاز إدغامه فى التاء : ادّان ، اطّلب ، اثّأر / اثّرد ويجوز اتّأر / اتّرد ، اذّكر ويجوز ادّكر ، اظّلم ويجوز اطّلم (قلبت تاء الافتعال فيهما إلى دال وطاء لتناسبا الذال والظاء ، وجاز فى الإدغام تغليب أيهما) ، ازّان ، اسّمع ، اصّبر ، اضّجع أو اطّجع . ثم إنه يجوز عدم التغيير فى حالتى السين والثاء اثتأر ، استمع ، وأما فى الأخريات فإما الإدغام وإما إبدال التاء حرفاً يناسب الفاء (إلى الطاء مع حروف الإطباق ، وإلى الدال مع غيرها) اذ دكر ، اظطلم ، ازدان ، اصطبر ، اضطجع(٢) .

(حـ) وإذا كانت عين افتعل تاء جاز الإدغام وتركه . فإذا أدغمت فإما أن تنقل حركة أولهما إلى فاء الكلمة فتفتح كَتَّب (من اكتتب) وإما أن تكسر للتخلص من التقاء الساكنين كِتَّب . والمضارع يَكَتِّب أو يَكِتِّب . وكذلك فى الأمر والمشتقات القياسية(٣) .

(د) وإذا كانت عين افتعل حرفاً مقارباً (التسعة المذكورة فى ب) جاز إدغام التاء فيها أيضاً فيقال هَدَّى (اهتدى) ، رَطَّم (ارتطم

---

(١) شرح الرضى الشافية ٣/ ٢٨٤ — ٢٨٥ .

(٢) نفسه ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

(٣) القاعدة من السابق ص ٢٨٣ — ٢٨٥ ويجىء المضارع بكسر حرف المضارعة أيضاً .

عَشَّر ، عَذَّر ، عَظَّل ، رزَّق ، قسَّر ، خَصَّم ، خضَّر(١) .
وقد مضى ذكر نتف من هذا ، وآثرنا ذكره هنا متكاملا .

— صيغتا تَفَعَّل وتفاعل تتصدر التاء فيهما قبل فاء الكلمة فالاحتمالات لاتعدو اثنين : أن تكون فاء الكلمة تاء ، أو حرفاً مقارباً للتاء . والحكم فيهما واحد (وهو جواز الإدغام) .

فإن كانت الفاء فى هذه الصيغ تاء أو حرفاً مقارباً للتاء (التسعة المذكورة آنفاً ويضاف إليها الشين والجيم) جاز الإدغام فيقال فى تتبع وتتابع اتَّبَّع واتَّابع ، اطَّيَّر ،اطَّاول ، ادَّبَّر ، ادَّارأ، اثَّبَّت، اثَّاقل،اذَّكر، اذَّاكروا، اظَّلَّم، اظَّالموا، ازَّيَّن، ازَّاحموا، اسَّمَّع، اسَّاقط ، اصَّرَّع ، اضَّاربوا، اجَّسَّر ، اجَّاءروا، اشَّبَّع، إشَّاجروا وهكذا(٢) .

قال الرضى : « وهذا الإدغام مطرد فى الماضى ، والمضارع ، والأمر ، والمصدر ، واسمى الفاعل والمفعول » اهـ أقول وهناك المصدر الميمى ، واسما الزمان والمكان أيضاً . وإدغام المثلين فى هاتين الصيغتين قد ذكر من قبل وأعيد هنا لتكامل ما يخص الصيغتين فى هذا المجال .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

لعله من حقنا الآن أن نقول إن العربية أخذت بهذه الوسيلة للتخفيف — أعنى وسيلة الإدغام — أوسع أخذ . فقد عرضنا — قبل الكلام الأخير عن الصيغ — لإدغام المثلين ثم لإدغام المتقاربين فى حروف البناء العربية كلها ،

---

(١) شرح الرضى الشافية ٣/٢٨٥ — ٢٨٦ وقد ذكر هذا الإدغام متحفظاً قال:لم تدغم التاء فيه (يعنى ما فى الصورة الأخيرة « د ») ثم ذكر أن القياس لا يمنع وذكر الأمثلة لكن غير مدغمة . وأرى أن تحفظه فى غير موضعه فقد جاءت هدى وعذر وخصم فى القرآن الكريم (س يونس ٣٥ والتوبة ٩٠ ويس ٤٩ على التوالى) وقد بينا فى إدغام المتقاربين أن التاء تدغم فى هذه الحروف جميعها وفى الشين والجيم زيادة على ذلك .

(٢) انظر شرح الرضى الشافية ٣/٢٩١ — وقد زدت بعض الأمثلة وقد قال فى ٣/٢٣٩— « فأما ذو زيادة الرباعى (يعنى مثل تدحرج) فلا يخفف بالإدغام إذ لو أدغمت لا حتجت إلى همزة الوصل فيؤدى إلى الثقل عند القصد إلى التخفيف . . ويجوز حذف إحداهما يعنى التاءين » . وهذا الإدغام الذى منعه واقع وجار جداً على ألسنة العامة .

ويتبين من كَـرَّة نظر على ما فيهما أنه ليس هناك من حروف العربية مالا يدغم فى مثله إلا حروف المد — وهى أخف الحروف نسبياً(١) ، ولا ينقلها إلى الثقل إلا أن تحرك فلا تعود حروف مد ، أو أن يسبق أى منها أو يتلى بما يضاده منها أو من الحركات — ومادامت هى الأخف فليست هناك من حاجة إلى تخفيفها بالإدغام .

كذلك يتبين أنه ليس هناك مالا يدغم فى مقاربه إلا حروف المد والهمزة والميم(٢) . وقد عرفنا خفة حروف المد . والميم مثلها أو تليها فى الخفة(٣) ، والهمزة ثقيلة ولكنها تخفف بأكثر من وسيلة(٤) ، فلا حاجة بها إلى وسيلة الإدغام .

— وبكَـرَّة نظر أخرى إلى كمّ حالات جواز إدغام سائر الحروف — أعنى ماعدا الهمزة والألف والميم ، مع إدخال الواو والياء غير المديتين — فى مقارباتها ، يتبين أن هذه الحالات بلغت ١١٨ ثمانى عشرة ومئة حالة ، إذا وزعناها (رياضياً) نجد أن كل حرف يمكن أن يدغم فى أربعة أحرف أو أكثر . وهذه نسبة كبيرة جداً ، لأن الاحتمالات النظرية الرياضية لكل حرف منها هى أن يليه واحد من سبعة وعشرين حرفاً ، فإذا كان يمكن الإدغام فى أربعة منها كان هذا ($\frac{1}{7}$) سُبع حالات التركيب . فإذا أخذنا فى الحسبان أن تلك الاحتمالات النظرية لاتكاد

---

(١) هى مجرد صوت يمتد فى تجويف الجهاز الصوتى مع تدخل يسير من اللسان والشفتين أقواه مع الواو ثم الياء ثم الألف .

(٢) الحروف التى لا تدغم فى مقاربها جمعها الزمخشرى وابن الحاجب فى (ضوى مشفر) وأخرج شارحاهما الواو والياء غير المديتين (شرح المفصل ١٠/١٣٣ وشرح الرضى الشافية ٣/٢٦٩ — ٢٧٠) ولكنى اعتمدت فى ما قلته على أن إدغام الراء والشين فى مقاربهما وقع فعلا فى القراءة وإدغام الضاد فى مقاربها وقع فعلا فى القراءة واللغة كما أسلفت فى عرض إدغام الحروف فى مقارباتها .

(٣) تتم بالتقاء الشفتين أخف التقاء ، ومرور الصوت مع النفس من الأنف — وهى من أخف حروف الذلاقة .

(٤) بين بين ، والإبدال ، والحذف .

تنطبق بكمالها إلا في حروف نادرة ، وأن متوسط حالات التوالى بين أي حرف وسائر الحروف لايكاد تجاوز العشرين ، ظهرت قيمة الإدغام في حالة الحروف المقاربة أكثر ، إذ تبلغ نحو (⅕) خُمس حالات التوالى أى ٢٠٪ عشرون بالمئة ، وهى نسبة ذات دلالة جد واضحة على الميل إلى التخفيف وتحققه في العربية .

— ويبقى أن أنبه إلى أن حالات الإدغام بين المتقاربات التي أسلفناها ، وإن كان معظمها جوازياً — وهذا أدل ، فإنها مقننة غير متروكة لأهواء الناطقين ، وقد رأينا أن أكثرها مجمع عليه من اللغويين والقراء ، وأسلفنا أن ما انفرد به القراء لا بد أن يكون له أساس صحيح في اللغة ، لأن هذا ضابطهم .

(ثالثا) — التخفيف بالحذف :

والمقصود هو حذف حرف أو أكثر من بعض الكلم تخفيفاً . وفي العربية من هذا ما هو مطرد وما هو كثير .

١ — حذف همزة صيغة (أفعل) الفعلية من المضارع والمشتقات القياسية . وصوغ المضارع في العربية يتم بزيادة حرف المضارعة قبل الماضى مع تغيير في الحركات . وفي صيغة أفعل تحذف الهمزة أيضاً فيقال في مضارع أحسن : يُحْسِنُ لا يُؤَحْسِنُ(١). وهذا تخفيف واضح أساسه التخلص من اجتماع الهمزتين عند إسناد المضارع إلى ضمير المتكلم في نحو أُؤَحْسِن ، ثم حملوا سائر حالات الإسناد على هذه طرد للباب . وتتضاعف قيمة هذا التخفيف إذا تذكرنا أن صيغة (أفعل) هذه صيغة شائعة جداً في اللغة لايكاد يخلو منها تركيب ، وأن الحذف جار في المشتقات القياسية منها : أسماء الفاعل والمفعول والزمان والمكان ، وفي المصدر الميمي . وهذا الحذف قياسي واجب(١) .

---

(١) انظر القواعد والتطبيقات شباتة ١٤٠ .

٢ — حذف إحدى التاءين من مضارع صيغ تفعّل وتفاعل وتفعلل عندما يكون حرف المضارعة تاء(١) . وذلك فى حالة إسناده إلى المخاطب : مفرداً أو مثنى أو جمعاً ، مذكراً أو مؤنثاً ، وكذلك عند إسناده إلى الغائبة أو الغائبتين — أى فى ثمانى حالات فى كل من الصيغ . وقد أسلفنا أن تكرار الحرف يثقل عليهم ، ولا شك أن عبارة « هى تَتَقَدَّمُ » مثلا أخف من « هى تتقدّم » . وهذا الحذف قياسى جائز .

٣ — حذف فاء المثال . إذا كان الفعل ثلاثياً مجرداً واوى الفاء حذفت فاؤه من أمثلة المضارع أيا كان حرف المضارعة أى فى حالات الإسناد الأربع عشرة ، ومن الأمر ، ومن المصدر المكسور الفاء . فتقول فى وعد يعد ، عدْ ، عدَة . وهذا الحذف قياسى واجب بشروطه(٢) . ولا شك أن يعدَ أخف من يَوْعِد حيث تجتمع الواو والياء . فيتخلص من اجتماعهما ، ويقتصد فى الجهد . وحملت الحالات الأخرى على ما اجتمعت فيه الواو والياء .

٤ — حذف عين المضعف . تحذف عين الماضى المضعف — إذا كان ثلاثياً مجرداً مكسور العين — عند إسناده إلى ضمير الرفع المتحرك ، وذلك مع نقل حركة عينه إلى الفاء ومع عدم النقل(٣) . وذلك الحذف قياسى جائز فتقول ظَلِلْت أكتب ، أو ظِلْتُ أو ظَلْت — وذلك الحذف للتخفيف من ثقل توالى مثلين وقد علمنا أنهم يستثقلون التضعيف ، فحذف أحد المثلين فيه تخفيف باقتصاد الجهد . ثم إن المضارع والأمر من الماضى الذى انطبقت عليه شروط جواز الحذف يجوز حذف العين(٤) منهما

---

(١) القاعدة من شرح الرضى الشافية ٣ /٢٣٩ — ٢٤٠ ، ٢٩٠ .

(٢) القاعدة من القواعد والتطبيقات ١٤٢ — ١٤٥ .

(٣) انظر السابق ١٤٦ — ١٤٨ .

(٤) بشرط أن تكون مكسورة فى المضارع — والأمر تبع له . أما المضارع المفتوح العين أو المضمومها من المضعف فى الحذف منه خلاف قوى . انظر القواعد والتطبيقات ١٤٧ — ١٤٨ .

أيضاً — مع نقل حركتها إلى فاء الكلمة — عند الإسناد إلى نون النسوة فتقول يقرِرْنَ ، اقْرِرْنَ أو يقِرْنَ ، قِرْنَ . وهناك صور أخرى من الحذف للتخلص من ثقل توالى الأمثال (١) .

٥ — الحذف لالتقاء الساكنين . من مقررات العربية أن العرب لايجيزون التقاء الساكنين فى كلامهم إلا فى حالات محدودة مستثناة . قال سيبويه : « لم يكن ليلتقى ساكنان »(٢) وذلك لثقل النطق بساكنين متتابعين عليهم أشد الثقل . فإذا أدى تركيب الكلام إلى التقاء ساكنين فى كلمة أو كلمتين ، فإنهم يتخلصون من ذلك تخففاً بحذف أحدهما أو تحريكه . وهذه أشهر حالات الحذف :

(ا) الأفعال التى على صيغ فَعَل وفَعِل وأفعلَ وافتعل وانفعل واستفعل — وهى معتلة العين(٣) مثل قال ، باع ، خاف ، أقام ، ابتاع ، انقاد ، استعان — ومضارعها وأمرها — يحذف حرف العلة من كل منها (حرف العلة هنا يعد ساكناً إذا كان حرف مدّ) إذا سكن آخرها أيضاً بسبب إسنادها إلى أىّ من ضمائر الرفع المتحركة — وهى أربعة ضمائر لثمانى حالات(٤) إسناد ، أوبسبب جزم المضارع ، أوبناء الأمر على السكون — وذلك تخففاً من التقاء الساكنين فيقال : قلت ، بعت ، خفت ، أقمت الخ ويقال : يقلن ويبعن ويبتعن ويقمن الخ ، ويقال : قلن وبعن وأقمن . . وانقدن واستعنّ (هذه أدغمت فيها النون فى النون) . وهذا الحذف قياسىّ واجب ، والأخذ به أخف قطعاً من أن يقال قُوْلْتُ بيعْت الخ . وهذا التخفيف يتناول جانباً كبيراً من اللغة لأن هذه الصيغ هى أكثر من نصف

(١) انظر الأشباه والنظائر (طه سعد) ١/ ٢٤ ، ٢٦ .

(٢) « الكتاب » ٤/ ١٦٢ .

(٣) المقصود كون عينها أحد حروف العلة مع كون هذا الحرف معلا أيضاً أى لا مصححاً مثل عور واستحوذ .

(٤) هى تاء المتكلم ونا المتكلمين وتاء المخاطب ونون النسوة . وتاء المخاطب تكون للمفرد والجمع مذكراً ومؤنثاً ، وتكون للمثنى .

الصيغ الجارية(١) ، ولأن الحذف يقع أيضاً فى المضارع والأمر المسندين إلى نون النسوة منها ، ولأن حالات الإسناد التى يقع فيها الحذف هنا هى أغلب حالات الإسناد إلى الضمائر (إذ لم يبق إلا الإسناد إلى الضمائر الساكنة وهى ثلاثة لخمس حالات)(٢) .

(ب) الأفعال المعتلة اللام من أية صيغة من الصيغ الفعلية (وهى أربعون صيغة) (٣) — فى الماضى أو المضارع أو الأمر — تحذف لامها إذا أسندت إلى واو الجماعة أو ياء المؤنثة المخاطبة(٤) ؛ تخلصاً من التقاء اللام المعتلة (ومادامت مداً فهى سكون هنا كما أسلفنا) مع أى من الضميرين المذكورين (وهما ساكنان أيضاً) . فيقال فى رضى ورمى ودعا وأرضى وانتهى وانجلى واستعلى ونادى وزكّى وتنادى وتزكى واذلولى الخ رضُوا ورمَوا ودعوا وأرضَوا الخ وهم يرضَون ويرمُون ويدعُون ويُرضُون الخ وأنت ترضَيْن وترمِين وتدعين وتُرضِين . . وتذلولين . وتقول لهم ارضَوا وارمُوا وادعُوا ، وتقول لها ارضَى وارمى وادعى وأرضِى . . . واذلولى . وهذا الحذف قياسى واجب والأخذ به أخف قطعاً من أن يقال رضيوا ، رميوا ، دعووا أو أنتم ترضَوُون أو تدعوُون أو أنت ترضيين الخ . لتجنب الحركات الثقيلة وللاقتصاد فى الجهد . وهو يتناول تخفيف جانب كبير جداً من ألفاظ اللغة لأنه يمكن أن يدخل أيا من الصيغ الفعلية كلها — فى الماضى والمضارع والأمر ، وذلك عندما تكون لامها معتلة وتسند إلى أى من الضميرين المذكورين .

(حـ) ومن حذف لام الكلمة لالتقاء الساكنين جزم المضارع المعتل

---

(١) لم يبق من الصيغ الكثيرة الاستعمال إلا فاعل ، وفعل ، وتفعل ، وتفاعل .

(٢) قاعدة هذا الحذف فى القواعد والتطبيقات ١٥٠ — ١٥١ والتفاصيل من الخبرة .

(٣) انظر مثلا الاستدراك للزبيدى ٣٨ — ٤٠ .

(٤) القاعدة فى القواعد والتطبيقات ١٥٠ والتفاصيل من الخبرة .

الآخر — وبناء الأمر منه — بحذف حرف العلة مثل لم يسع ولم يدع ولم يرم ، واسع وادع وارم .

(د) من أهم مواضع حذف أحد الساكنين الأخرى وجود مد فى آخر كلمة وسكون فى أول الكلمة التالية لها فيحذف المد من آخر الأولى مثل دعا العبد ربه ويدعو العبد ربه ، وهو يبغى الخير ، نالوا الفضل ، أطيعا الأب ، أطيعى الزوج . (والحذف هنا من اللفظ لا الخط) . ومن ذلك حذف لام المقصور والمنقوص إذا نونا ولم يكن المنقوص منصوباً نحو هذه عصا وهذا فتى هاد (والحذف فى المقصور لفظى) . وكذلك حذف تنوين العلم الموصوف بابن مضافاً إلى علم نحو هذا خالد بن على (١) .

٦ — حذف لام كثير من الأسماء التى لامها واو أو ياء أو هاء أو حاء — لتخفيفها . قال أبو الهيثم : « العرب تستثقل وقوفاً على الهاء والحاء والواو والياء (يعنى تستثقل وقوع هذه الحروف لامات لأسماء فتكون عرضة للوقوف عليها) إذا سكن ما قبلها ، فتحذف هذه الحروف ، وتبقى الاسم على حرفين ، كما حذفوا الواو من أب وأخ وغد وهن ، والياء من يد ودم ، والحاء من حر ، والهاء من فوه وشفة وشاة (أصلهما شفهة وشوهة) . فلما حذفوا الهاء من فوه بقيت الواو ساكنة فاستثقلوا وقوفاً عليها فحذفوها ، فبقى الاسم فاء وحدها ، فوصلوها بميم ، ليصير حرفين : حرف يبتدأ به فيحرك ، وحرف يسكت عليه فيسكن . وإنما خصوا الميم بالزيادة (هنا ، لأنها فى مكان الواو — وهى شفوية) والميم من حروف الشفتين ينطبقان بها »(٢) اهـ وكان حقه أن يذكر الحكم فى استعماليه بالحذف : معرباً بالحركات الظاهرة على الميم ، وكالأسماء الخمسة .

— ويمكن أن نضيف إلى ما هنا — مما حذفت لامه تخفيفاً كالذى ذكره

---

(١) قواعد هذه الحالات فى القواعد والتطبيقات ١٥١ — ١٥٢ .

(٢) لسان العرب (فوه) .

أبو الهيثم — مع التعويض عن المحذوف بما هو أخف : الرئة والفئة والمئة ، والقبة (الفحث : ذات الأطباق من الكرش) ، والعزة (العصبة من الناس) ، والعضة (الفرقة من الناس والقطعة من الشيء) ، واللثة ، والقضة (نبتة سهلية) ، والقلة (حية) ، والجية (كراهة بلد أو بيئة) ، والقدة (أيضاً) القدوة ، والحظة (الحظوة) — وكل أولئك الكلمات بكسر ففتح . والثبة (الجماعة من الناس) ، والدجة (الزر) ، والذرة (الحب المعروف) ، والكرة ، والبرة (الخلخال) ، واللغة ، والدغة (دويبة) ، والرفة (التبن) ، وحمة العقرب والزنبور (سمهما وضرهما) ، والقلة (خشبة تنصب وتضرب بأخرى لعبا) (١) .. وكل هذه الكلمات بضم ففتح . ومن هذا القبيل أيضاً كلمات متناثرة اسم ، وابن ، واست ، وسنة .

— وقد ذكر أبو الهيثم جانباً من وجه الخفة في هذا الحذف ، وهو ثقل الوقوف على هذه الحروف لأنها ضعيفة خفية تحتاج إلى مزيد ضغط عليها عند الوقف حتى تظهر . وهناك جانب آخر هو ثقل الحركات على الواو والياء عند الوصل . وكل ما أضفناه آخره المحذوف واو أو ياء(٢) ما عدا الكلمتين الأخيرتين فإن آخرهما المحذوف هاء(٣) .

فهذه طائفة صالحة من الألفاظ التي خففت بالحذف . وقيمتها أنها ترينا جانباً من منهج العرب في هذا التخفيف ، إذ لاشك أن هناك المزيد من هذا النوع .

٧ — وهناك أيضاً الترخيم في النداء حيث تحذف في نداء الترخيم تاء التأنيث من المختوم بها ، والحرف الأخير مما جاوز حد الثلاثة كيا خال ويانزا ويا يزي ويا خفا (خالد / نزار / يزيد / خفاف) . فإن تضمن مجاوز الثلاثة خمسة أحرف فأكثر حذف أيضاً ما قبل الآخر من حرف مد

---

(١) انظر لسان العرب ، وتاج العروس في تراكيب هذه الألفاظ .

(٢) كلها واوية ماعدا المئة والرئة والقدة (الحية) والجية .

(٣) على الرأى الراجح .

زائد فيقال فى عمران ، وحماد ، وحمدون ، ومنصور ، ومسكين (يا عمرِ ، حمّ ، حمد ، منص ، مسك) . على تفاصيل أخرى (١) .

٨ — وهناك تصغير الترخيم ويكون بتجريد الاسم المراد تصغيره من الزوائد ثم تصغيره بعد ذلك فيقال فى تصغير حامد ، حمدان ، حمّاد ، محمود ، أحمد : حميد . ويقال فى تصغير سوداء سويدة ، وفى تصغير أسود سويد . وفى تصغير جعفر جعيفر لأنه لا زوائد فيه (٢) .

٩ — وأخيراً هناك منثورات من الحذف التخفيفى :

(ا) كحذف فاء الأفعال أخذ وأكل وأمر (وهى الهمزة) عند صوغ الأمر منها فيقال خذ وكل ومر(٣) فى البدء والدرج على السواء إلا أن الأفصح فى الأمر من « أمر » عند الدرج عدم الحذف مثل « وَأْمُر بالمعروف » ، وكذلك الحال فى حذف عين الأمر من سأل يقال فى البدء سل ، والأكثر فى الدرج الإثبات « واسأل القرية »(٤) . أما عين رأى فتحذف فى المضارع والأمر على السواء يرى ، رَه . فإذا عديت رأى بالهمزة حذفت عينها من الماضى والمضارع والأمر وسائر التصرفات(٥) فيقال هو أراه اتباع الحق رشدا . واللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه .

(ب) يجوز حذف النون من « مِن ، عن » عند الألف واللام لالتقاء الساكنين ، وحذفها من « من » أكثر من حذفها من « عن » لأن دخول « من » فى الكلام أكثر من دخول « عن » . فيقال م الكذب وم الآن(٦) . وقد حذفوا من « على » أيضاً فقالوا « علماءِ بنو

---

(١) انظر باب الترخيم فى شرح الكافية الشافية لابن مالك ١٣٥٠ — ١٣٧٢ (مجلد ٣) مثلا .

(٢) انظر السابق ١٩٢٦ — ١٩٢٧ (مجلد ٤) مثلا .

(٣) انظر السابق ٢١٦٦ .

(٤) انظر لسان العرب (سأل) .

(٥) انظر الصحاح واللسان (رأى) .

(٦) لسان العرب (منّ) آخر التركيب .

فلان ، يريدون على الماء بنو فلان (١) . وحذفوا الألف من ما الاستفهامية إذا دخلت عليها حروف الجر فيقال : علامه ، وفيمه ، ولمه ، وبمه ، وحتامه ؟ والهاء للوقف . وقد يقال فيم وعلام الخ فى الوقف . وكذلك إذا أضيفت نحو مجىء م جئت . ومثل م أنت . إلا أن هذه لا يوقف عليها إلا بالهاء : مجىء مه (٢) ؟

(رابعاً) — التخفيف بالزيادة :

تتخذ العربية شتى الوسائل لتخفيف الأداء اللغوى سواء أكانت تلك الوسائل حذفاً ، أم إبدالا ، أم مضارعة بمختلف مستوياتها ، أم زيادة . وقد مر بنا كل ذلك ما عدا الزيادة للتخفيف ، وهى تتمثل فى همزة الوصل ، وهاء السكت (أى تخفيف بدء نطق الكلام ، ونهاية هذا النطق) .

(همزة الوصل) :

من قواعد العربية العامة أنه لايبتدأ بساكن (٣) . وبصرف النظر عن الخلاف النظرى فى اختصاص العربية بامتناع البدء بالساكن ، أوعموم ذلك فى اللغات الأخرى أيضاً (٤) ، فإن ملاحظة ما يعانيه العربى الذى يحاول تعلم لغة أوربية لينطق بكلمة مبدوءة بساكن أو ساكنين ، وكيف يتكىء لذلك على همزة مكسورة يأتى بها من عند نفسه ليستعين على نطق المبدوء بساكن ، وأنه لايتخلص من هذه التكأة إلا بعد طول مران . . إن ملاحظة ذلك تكفى لإثبات صعوبة الابتداء بالساكن وثقله ، وهذا الذى لاحظناه هو الذى دفع بعض الأئمة إلى القول بأن البدء بالساكن متعذر أى مستحيل (٥) ، وأن ذلك عام فى كل اللغات ، وليس خاصاً بالعربية .

---

(١) انظر الكتاب ٤/٤٨٥ . (٢) انظر الكتاب ٤/١٦٤ — ١٦٥ .

(٣) انظر الكتاب ٤/١٤٤ والخصائص ٢/٣٢٨ ، ١/٩١ وشرح الرضى الشافية ٢/٢٥٠ — ٢٥١ .

(٤) انظر الخصائص ١/٩٠ — ٩١ ، شرح المفصل ٩/١٣١ ، شرح الرضى الشافية ٢/٢٥٠ — ٢٥١ .

(٥) كابن يعيش فى شرح المفصل ٩/١٣١ إذ قال « إنما هو (أى امتناع البدء بالساكن) =

وأيا ما كان، فالثقل موجود حقيقة — عند العرب على الأقل . ولذلك تجنبوا أن يبدءوا أبنيتهم بحروف ساكنة إلا فى حالات محدودة ، لضرورة استيفاء تصرف الفعل الثلاثى ، واستيفاء صيغ غيره ، وذلك بالإضافة إلى عشرة أسماء، وحرف واحد . فلما استشعروا ثقل البدء بالساكن فى تلك الحالات المحدودة أضافوا ضغطة التنفس التى يقتضيها تمكين البدء بالساكن ساكناً فى صورة همزة وصل (يتوصل بها إلى النطق بالساكن) وذلك تيسيراً للنطق — حتى لا يُلجأ الناطقون إلى مايثقل عليهم من البدء بالساكن ، وتشريعاً لهذا التيسير ، وضبطاً لحقيقة النطق . وهذه هى حالات البدء بالساكن ، التى خففت بهمزة الوصل :

١ — صيغة الأمر من الأفعال الثلاثية (غير الجوف أو المضعفة) ، لأن الأمر يقتطع من المضارع بحذف حرف المضارعة ، فإذا حذف هذا بقيت فاء الفعل ساكنة ، فاجتلبوا همزة الوصل للاعتماد عليها(١) ، مثل انصر ، اسمع ، اضرب .

٢ — خمس عشرة صيغة فعلية مزيدة أدى إدخال الزوائد فيها إلى البدء بالساكن فاجتلبوا همزة الوصل للاعتماد عليها فى بدء نطقها نحو افتتح وانطلق واحمر واستخرج . (٢) وكذلك الأمر والمصدر من تلك الصيغ مثل افتتح وانطلق وافتتاح وانطلاق .

٣ — عشرة أسماء أكثرها حذفت لامها ووضعت فى صيغة سكن أولها

= من قبيل الضرورة وعدم الإمكان» ثم قال «إذ النطق بالساكن متعذر» (ص١٣٢) . وقال الرضى فى شرح الشافية ٢٥١/٢ : «الأكثرون على أن الابتداء بالساكن متعذر» ثم قال «والظاهر أنه مستحيل ولا بد من الابتداء بمتحرك» .

(١) انظر شرح المفصل ١٣٦/٩ . وعلل إسكان ما بعد حرف المضارعة بمنع توالى أربع حركات وأنه الوحيد الذى يصلح إسكانه .

(٢) فى الكتاب ٢٤٤/٤ — ٢٤٥ أ عشر صيغ وسائرها فى الاستدراك للزبيدى ٣٩ — ٤٠ وباقيها احمارّ ، اعشوشب ، اجلوذ ، اهبيخ ، اعثوجج ، احو نصل ، اقعنسس ، اخر نبى ، احر نجم ، اقشعر ، اكوهد . وقد علل الإسكان أولها فى شرح المفصل ١٣٥/٩ .

فاجتلبت لها الهمزة . وهي ابن واثنان وامرؤ ومؤنثاتها واست واسم وايمن الله وايم الله(١) .

ثم كان من أحكام العربية أن تحذف همزة الوصل هذه من النطق إن وقعت في غير بدئه — استغناء عنها — إن كان ما قبلها متحركاً نحو له اسمع وانتبه ، لابنك حق ، وتخلصا من التقاء الساكنين إن كان ما قبلها ساكناً نحو أحبوا العلم وابغوا ازدياده يأتكمُ الخير . فهي وسيلة تخفيف في مجيئها وحذفها .

(هاء الوقف) :

الوقف — أي السكوت بعد نطق شيء من الكلام — موضع استراحة(٢) ، إذ يكون عادة لنفاد النفس أو قرب نفاده . وأكثر ما يوافق هذه الحالة من أصوات الكلام هو الهاء ، لأنها « نَفَس »(٣) فحسب . والمتكلم يحتاج — عند الوقف — أن يخرج ما بقي من نَفَسه قبل أن يستمد هواء جديداً ، فإذا أخرج هذا الباقي من نَفَسه في صورة هاء ساكنة يكون قد حقق حاجته الضرورية مع تحقيق غايات لغوية بهذه الهاء .

ومن أهم هذه الغايات اللغوية لزيادة هاء السكت بيان حركة الموقوف عليه(٤) — أي مع الراحة المتمثلة في ترك التحرز والتحفظ البالغين إذا أريد بيان الحركة بدون الهاء .

— ثم إن هذه الهاء تزاد جوازاً عند الوقف على المتحرك من المبنيات العريقة في البناء :

---

(١) انظر شرح المفصل ٩/١٣١ وسائرها ابنة ، ابنم ، اثنتان ، امرأة .

(٢) انظر مثلا شرح الرضى الشافية ٢/٣٠٠ .

(٣) قال الخليل عن الهاء: « وإنما هي نفس لاعتياص فيها » ا ه العين (درويش) ١/٦١.

(٤) انظر شرح المفصل ٩/٤٥ .

(ا) كالحروف إنّـه ، لكنه ، ليته ، لعله ، ثمه الخ .

(ب) والضمائر هوه ، هيه ، هنّبه ، ضربتكه ، اكتبنه ، غلاميه الخ .

(حـ) أسماء الاستفهام كيفه ؟ أينه ؟

(د) ما حذف آخره من الأفعال المعتلة الآخر للجزم أو للبناء لم يخشه ، لم يدعه ، لم يرمه . وكذلك اخشه ، ادعه ، ارمه .

— فإذا بقي الفعل من هذا النوع على حرف واحد وجبت زيادة هذه الهاء نحو لم يقه ، لم يعه ، قه ، عه .

— كما تزاد جوازاً في آخر المنتهى بحرف مد من المبنيات :

(ا) كأسماء الإشارة ذاه ، هناه ، هؤلاه .

(ب) وكمدّ الندبة وازيداه ، واغلامهوه ، وا انقطاع ظهريه .

(حـ) وعند حذف ألف ما الاستفهامية عندما تكون مضافاً إليها اسم مثل مجيء مه ؟ مثل مه ؟ . والهاء في هذه لازمة لأن المضاف هنا صالح للاستقلال ، وعندما تكون مجرورة مثل إلامه ؟ علامه ؟ حتامه ؟ فيمه ؟ لمه ؟ وإلحاق الهاء هنا جائز فحسب .

— وتمتنع هاء السكت بعد حركة الإعراب ، والبناء المشابه للإعراب كالفعل الماضي والمنادى واسم لا المبنيين(١) .

---

(١) لكل تلك التفاصيل انظر الكتاب ٤/١٤٤ ، ١٦٣ ، وشرح المفصل ٩/٤٥ — ٤٨ وشرح الرضى الشافية ٢/٢٩٦ — ٣٠٠ وشرح الكافية الشافية ٤/١٩٩٧ .

الصورة الخامسة لحسن التأليف
حسن تأليف الحركات

والمقصود هنا هو الحركات القصيرة . الفتحة والضمة والكسرة مع التنسيق بينها وبين السكون . وقد أسلفنا أن مراعاة الخفة فى نظام الحركات والسكنات فى العربية قد ذكرها الفارابى وابن سنان على أنها من خصائص العربية(١) ، وأن ابن فارس قد ذكر من هذه الخصائص منعهم الجمع بين الساكنين(٢) . وسنفصل أكثر ذلك بعض التفصيل .

١ — منع توالى الحركات . مما التزمه العرب فى بناء لغتهم أن يراوحوا بين الحركات والسكنات فى بناء الألفاظ ، « فبنوا كلامهم على متحرك وساكن ومتحركين وساكن ، ولم يجمعوا بين ساكنين فى حشو الكلمة ولا فى حشو بيت ، ولا بين أربعة أحرف متحركة »(٣) قال سيبويه : « ليس حرف (يعنى كلمة) فى الكلام تتوالى فيه أربع متحركات» (٤) وقد ذكر سيبويه بعض الكلمات التى بدا أنه توالى فيها أربع متحركات مثل عُلَبِط وعُجَالِط وعُكَلِط ودُوَدِم وبين أنها كلها جاءت أيضاً على وزن فعالل ثم حذفت منها الألف ، ومثلها جَنَدِل حذفت منها ألف الجنادل وأما عَرَتُن وعَرَقُصان فقد حذفت منهما النون ، وكانتا عَرَنْتُن ، وعَرَنْقُصان(٥) .

---

(١) انظر ديوان الأدب ١/٧٢ وسر الفصاحة ٥٠ .

(٢) انظر الصاحبى (صقر) ٢٠ .

(٣) هذا كلام قطرب . انظر الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ٧١ .

(٤) الكتاب (هارون) ٤/٢٨٩ .

(٥) انظر الموضع السابق . وكلمة علبط وأختاها معناهن اللبن الخاثر ، والدودم شىء كالدم يخرج من السمر ، والعرتن والعرقصان نبتان . والجندل الأرض فيها حجارة .

وهناك كلمات أخرى من هذا الباب الهدَبِدُ والعثلط (هما اللبن الخاثر) والخُنْتَبْر (الشيء الخسيس) والدلمص والدلمز (البرّاق) والزُّمَلق (من يريق قبل أن يفضى) والخُدْلقة (العين) وكلها بضم ففتح فكسر محذوفة من فُعالل. وكلمات هذا الباب فى اللغة كلها قد لاتزيد عن عشرين وكلها وصل إلى هذه الصورة بحذف حرف مد أو غيره على ما سبق.

— ولاشك أن توالى أربع حركات فيه ثقل من إطالة الكلمة (لأن الحركة صوت يحسب حرفاً أيضاً) فكأن الكلمة حينئذ مكونة من ثمانية حروف، ثم إن الكلمة حينئذ تكون مكونة من أربعة مقاطع متساوية النوع والطول وهذا فيه رتابة وثقل من حيث إن الحركة الطويلة (حرف المد) يريح أكثر من الحركة القصيرة لأنه ليس فيها من الحجْر مثل ما فى القصيرة.

— وقد بلغ من حرص العرب على تجنب ثقل توالى الحركات الأربع هذا فى الكلمة الواحدة، تجنبهم إياه فى ما هو كالكلمة الواحدة، كما يقع عند إسناد الفعل الصحيح إلى ضمير الرفع المتحرك مثل ملكتُ، إذ يسكنون آخر الفعل حينئذ. وهذه مقولة مشهورة(١).

— والخلاصة أن هذا النوع من تخفيف الحركات بمنع توالى أربع منها فى كلمة واحدة ملتزم ومتحقق فى اللغة تماماً.

٢ — منع التقاء الساكنين.

وهذا أيضاً من المقولات المقررة فى العربية. قال سيبويه: «لم يكن ليلتقى ساكنان»(٢). ولا يغتفر التقاء الساكنين على أية صورة فى الكلام المفرد أو المركب إلا فى حالات معينة محدودة(٣). ولتوضيح ذلك الثقل نقول إن الطبع العربى لا يقبل الابتداء بالساكن(٤)، وإذا جاء ما أوله

(١) انظر الخصائص ١/ ٣٢٠ — ٣٢١.
(٢) انظر الكتاب (هارون) ٤/ ١٥٢.
(٣) انظر مثلا شرح الرضى الشافية ٢/ ٢١٠.
(٤) انظر الخصائص ١/ ٩٠ — ٩١، وشرح الرضى الشافية ٢/ ٢٥٠ — ٢٥١.

ساكن فإنهم لابد — لنطقها بدءاً — أن يعتمدوا على حركة تتمثل فى همزة الوصل (١) . والناطق إذا نطق حرفاً ساكناً فإنه يكون بالانتهاء من نطقه فى حال تماثل حال الوقف ، فإذا جاء بعد هذا الساكن ساكن آخر احتيج للنطق به إلى حركة يبدأ بها ، ولأنه ليست هناك حينئذ حركة فإنه يتعذر أو يتعسر عليهم النطق . ووجه اعتداد هذا - أعنى منع التقاء الساكنين - شيئاً ممدوحاً هو حرص العرب على تجنب كل ما يستشعر ثقله فى لغتهم .

وموضوع التقاء الساكنين من الموضوعات التى فصلت فى كتب الصرف فنحيل عليها (٢) .

٣ — منع توالى الحركات الثقيلة . والفتح أخف الحركات ، والكسر ثقيل بالنسبة له ، والضم أثقل من الكسر ، والساكن أخف من المتحرك (٣) . ومن هنا كان مثال فَعْل بفتح فسكون «أعدل الأبنية» وأخفها «حتى كثر وشاع وانتشر» (٤) . ثم كان من حرص العرب على خفة ألفاظهم أن تجنبوا — فى أصول أبنيتهم أن يبنوا أسماء تلى الضمة فيها الكسرة أو العكس «لاستثقال الخروج من ثقيل إلى ثقيل يخالفه . فأما فى نحو عُنُق وإبل فتماثل الثقيلين خفف شيئاً ، والخروج من الكسرة إلى الضمة أثقل من العكس ، لأنه خروج من ثقيل إلى أثقل منه ، فلذلك لم يأت فِعُل لا فى الأسماء ولا فى الأفعال ، إلا فى الحِبُك إن ثبت . ويجوز ذلك إذا كان إحدى الحركتين غير لازمة نحو يضرِبُ ، وليُقتل . وأما فُعِل فلما كان ثقله أهون قليلا جاء فى الفعل المبنى للمفعول ، وجُوِّز ذلك لعروضه لكونه فرع المبنى للفاعل . » (٥) اهـ .

---

(١) انظر شرح الرضى ٢/٢٥٠ — ٢٥١ .

(٢) انظر مثلا شرح الرضى الشافية ٢/٢١٠ ، والقواعد والتطبيقات للشيخ شبانه ١٤٨ — ١٥١ والكتاب (هارون) ٥/٣١١ حيث مواضع معالجة التقاء الساكنين فى الكتاب .

(٣) انظر الأقصى القريب فى علم البيان لمحمد بن محمد التنوخى — باب مخارج الحروف .

(٤) انظر الخصائص ١/٥٩ ، ٦٠ .

(٥) شرح الرضى ١/٣٥ — ٣٦ .

وقد علل ابن جنى جواز فتح عين فُعُلات (بضمتين) وفِعِلات (بكسرتين) نحو غرفات وكِسِرات، وكذلك جواز سكون تلك العين، بأن هذا وذاك هرب من ثقل توالى الضمتين والكسرتين(١). كما علل لامتناع بناء الصيغة الرباعية فِعْلُل (بكسر فسكون فضم) باستكراههم الخروج من كسر إلى ضم، وإن كان بينهما حاجز لأن سكونه جعله حاجزاً ضعيفاً(٢).

٤ — تخفيف الحركات بتقريب بعضها من بعض، وبالتناسب بينها وبين الحروف.

وهذا نهج للعربية تبرز شواهده لدينا فى صور محددة: الإمالة: مسوغاتها وموانعها، الإتباع فى الحركات، تفخيم حركات الحروف المفخمة (المستعلية) وترقيق حركات غيرها، فتح عين المضارع الحلقى العين أو اللام. وهذا حديث عن كل منها.

الإمــالة:

«وهى أن تذهب بالفتحة إلى جهة الكسرة، فإن كان بعدها ألف ذهبت إلى جهة الياء كالفتى، وإلا فالممال الفتحة وحدها كنعمة.»(٣) وهذه وسيلة أخرى للتخفيف بتقريب الحركات بعضها من بعض، بحيث لا يكون الانتقال من حركة إلى تاليتها حاداً فيثقل. قال سيبويه فى بيان سبب الإمالة: «فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور . . . وإنما أما لوها للكسرة التى بعدها، أرادوا أن يقربوها منها، كما قربوا فى الإدغام (يعنى المضارعة) الصاد من الزاى حين قالوا «صدر» فجعلوها بين الزاى

(١) انظر الخصائص ١/٥٩.

(٢) انظر الخصائص ١/٦٨.

(٣) أوضح المسالك (محيى الدين) ٤/٣٥٤.

والصاد ، فقربها من الزاى والصاد التماس الخفة ، لأن الصاد قريبة من الدال ، فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال . وبيان ذلك فى الإدغام ، فكما يريد فى الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد ، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف قدر ذلك . فالألف قد تشبه الياء ، فأرادوا أن يقربوها منها »(١) وقد كرر بيان وجه التخفيف فى الإمالة فى حالات أخرى(٢) . وعبر الزمخشرى عن وجه التخفيف بتجانس الصوت (٣) ، وعبر ابن الحاجب بالمناسبة يعنى بين الفتحة والألف من ناحية وبين الكسرة والياء من ناحية أخرى (٤) . وعبارة ابن يعيش : « الغرض من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل فقربوا الألف من الياء لأن الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب أسفله وأدناه فتنافرا ، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء ، فصار الصوت بين بين ، فاعتدل الأمر بينهما ، وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر» (٥) اهـ .

ويلفت النظر ذلك الربط بين المضارعة والإمالة والإدغام — كما هو واضح فى كلام سيبويه ، وقد تبعه الآخرون فيه(٦) ، لأنها كلها من وسائل التخفيف .

والإمالة جوازية ليس فيها حالات واجبة(٧) .

حالات الإمالة :

أجمل الزمخشرى حالات الإمالة فى قوله: « وسبب ذلك (يعنى الإمالة)

---

(١) الكتاب ١١٧/٤ (٢) نفسه .
(٣) انظر شرح المفصل ٥٣/٩ .
(٤) انظر شرح الرضى الشافية ٤/٣ .
(٥) شرح المفصل ١٠/٥٤ ، ٥٥ باختيار .
(٦) نفسه ١٠/٥٣ — ٥٥ .
(٧) انظر شرح المفصل ١٠/٥٤ — ٥٥ وشرح الرضى الشافية ٣/٥ .

أن تقع بقرب الألف كسرة أو ياء ، أو تكون هى منقلبة عن مكسور أو ياء أو صائرة ياء فى موضع»(١) ويمكن تفصيلها بما يلى :

يجوز إمالة الفتحة والألف فى الحالات الآتية :

١ — إذا سُبقت الألف بكسرة قبل الحرف الذى هى فيه مباشرة مثل كتاب ، ورجال ، وعبادة وإفادة وتجارة وابتعاث وانفتاح ، أو مع فاصل مثل شملال ومنحار واستفتاح وإنا ومنا . (وتجوز بقلة إذا كان الفاصل بين الكسرة وحرف الألف هاء متحركة غير مضمومة مثل يريد أن ينزعها ويضربها)(٢) .

٢ — إذا تلت الألف كسرة نحو عالم ، وسنابل ، ومنازل ، ومساجل الخ . . (٣) .

(ثم إنهم أجروا المنفصل — من الكسرة والألف — مجرى المتصل ، والعارض مجرى الأصلى فأمالوا الألف التى سبقتها كسرة من كلمة أخرى غير مستقلة مثل بنا ومنّا ومنها أو مستقلة نحو لزيد مال وبعبد الله ، وأمالوا ما تلتها كسرة من كلمة أخرى مثل ثلثا درهم وغلاما بشر ، أو كسرة عارضة نحو على بابه ومن ماله(٤) ، وأمالوا ألف التنوين نحو درست علماً ورأيت زيداً)(٥) .

٣ — إذا سبقت الألف بياء : مباشرة نحو بَيّان وسَيّال (شجر) ، وبيّاع وزيات ، وارتياح وابتياع ، وانهيار الخ ، أو بفاصل والياء ساكنة نحو شيبان وعيان ، (أو متحركة ولكن الإمالة حينئذ ضعيفة نحو الحيوان والحيدان)(٦) .

---

(١) شرح المفصل ٩/٥٥ .

(٢) نفسه ٩/٥٥ — ٥٧ وشرح الرضى الشافية ٣/٤ — ٦ .

(٣) شرح المفصل ٩/٥٥ — ٥٦ . وشرح الرضى الشافية ٣/٧ .

(٤) انظر شرح الرضى الشافية ٣/٦ — ٧ ، وشرح المفصل ٩/٥٧ .

(٥) شرح المفصل ٩/٥٧ .

(٦) شرح المفصل ٩/٥٦ وشرح الرضى الشافية ٣/١٠ .

٤ — وقد أمالوا الألف إذا كان قبلها فى الكلمة ألف ممالة لتناسبها . فتمال الألف الأخيرة فى رأيت عمادا ، وحسبت حسابا ، وهذا مغزانا . قال ابن يعيش : « والغرض من ذلك تناسب الأصوات وتقارب أجراسها »(١) .

٥ — ثم إنهم أمالوا الألف إذا كانت عيناً لفعل منقلبة فيه عن مكسور نحو خاف وطاب ، أو لاسم وهى منقلبة عن ياء نحو ناب وعاب ، أوكانت لاماً لفعل مطلقاً نحو رمى وسعى ودعا ، أو لاسم وهى منقلبة عن ياء نحو الفتى والرحى ، أوكانت رابعة فأكثر مطلقاً نحو أغزى ، وادّعى ، ومَغْزَى وملهى(٢) .

— وفى إطار الغرض من الإمالة — وهو تقريب الحروف المتجاورة بعضها من بعض فى النطق لتخفيفه — فإن حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) تمنع الإمالة إذا وليت الألفَ — قبلها أو بعدها — نحو صاعد وعاصم وضامن وعاضد . . أو وقعت بعدها بحرف أو حرفين كناشص ومفاريص وعارض ومعاريض . . . قال ابن يعيش معللا : « الألف إذا خرجت من موضعها اعتاصت إلى الحنك الأعلى ، فإذا كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها — كما غلبت الكسرة والياء عليها (عند عدم حروف الاستعلاء) ، إذ معنى الإمالة أن يقرب الحرف مما يشاكله من كسرة أو ياء ، فإذا كان الذى يشاكل الحرف غير ذلك أملته بالحرف إليه . وهذه الحروف (المستعلية) منفتحة المخارج (ينفتح لها الفم لأنها مفخمة) ، فلذلك وجب الفتح معها ، ورفضت الإمالة هنا من حيث اجتلبت فى ما تقدم »(٣) وهذا المنع مشروط بألا تسبق

(١) انظر شرح المفصل ٩/٥٨ — ٥٩ .
(٢) نفسه ٥٧ — ٥٨ وأخرت هذه المجموعة وأجملتها ، لأن غرض تقريب الحركات المتجاورة بعضها من بعض غير ظاهر .
(٣) شرح المفصل ٩/٥٩ .

هذه الحروف وهى مكسورة أو ساكنة بعد كسر ، وإلا أوهى الكسر استعلاءها ، وجازت الإمالة فى نحو صعاب ومصباح وطِلاب ومطعام (١)

والراء غير المكسورة تمنع الإمالة فى مثل راشد وهذا حمارك ، والمكسورة ترجح الإمالة حتى مع وجود حرف الاستعلاء أو وجود غير المكسورة فيجوز إمالة طارد وغارم ومن قرارك . وذلك أن التكرير الذى هو صفة الراء الأساسية يضاعف قوة حركتها(٢) .

إمالة الفتحة وحدها :

انصبت القواعد السابقة على الألف وماعُـدّ فتحة قبلها . أما الفتحة وحدها ، فقد قال ابن يعيش : « اعلم أن الفتحة قد تمال كما تمال الألف ، لأن الغرض من الإمالة مشاكلة الأصوات وتقريب بعضها من بعض ، وذلك موجود فى الحركة كما هو موجود فى الحرف ، لأن الفتحة من الألف . . . فكل ما يوجب (يعنى يجيز) إمالة الألف يوجب (أى يجيز) إمالة الحركة التى هى الفتحة ، وما يمنع إمالة الألف يمنع إمالة الفتحة »(٣) . وحدد ابن هشام حالات إمالة الفتحة بوقوعها قبل حرف من ثلاثة : الألف وقد مضت . . . ، والثانى : الراء بشرط كونها مكسورة ، وكون الفتحة فى غير ياء ، وكونهما متصلتين نحو « من الكِـبَر » ، أو منفصلتين بساكن غير ياء نحو من عمرو . بخلاف نحو أعوذ بالله من الغِـيَر ، ومن قبح السِّـيَر ، ومن غيرك . قال : « واشتراط الناظم تطرف الراء مردود بنص سيبويه على إمالتهم فتحة الطاء من قولك رأيت خبط رياح » . والثالث : هاء التأنيث . وإنما يكون هذا فى الوقف خاصة كرحمة ونعمة ، لأنهم شبهوا هاء التأنيث بألفه ، لاتفاقهما فى المخرج ، والمعنى ، والزيادة ، والتطرف ، والاختصاص بالأسماء »(٤) اهـ . ولكن هـذا الإطلاق لإمالة الفتحة قبل هاء التأنيث فصّله القراء ممثلين فى الكسائى بأن ما قبل هاء التأنيث تمال فتحته فى خمسة

(١) نفسه ٩/٦٠ . (٢) نفسه ٩/٦١ .

(٣) انظر شرح المفصل ٩/٦٤ .

(٤) أوضح المسالك (محيى الدين) ٤/٣٥٩ — ٣٦٠ .

عشر حرفاً فقط يجمعها قولك (فجئت زينب لذود شمس) فالفاء كخليفة ورأفة ، والجيم كوليجة ولُجّة ، والثاء كثلاثة وخبيثة ، والتاء كبغتة والميتة ، والزاى كبارزة وأعزّة ، والياء كخشية وجرية ، والنون كسنة وجنة ، والباء كحبة والتوبة ، واللام كلَيْلة وثُلّة ، والذال كلذّة والموقوذة ، والواو كقسوة والمرْوَة ، والدال كبلدة وعدة ، والشين كالفاحشة وعيشة ، والميم كرحمة ونعمة ، والسين كالخامسة وخمسة » . ثم قال : « وتفتح مطلقا (أى لاتمال) بعد عشرة أحرف وهى حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) والحاء والألف (أى إذا لم يتوفر لها سبب إمالة) والعين ، والأربعة الباقية وهى حروف (أكهر) إن كان قبل كل منها ياء ساكنة أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن أميلت ، وإلا فتحت»(١) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وبعد فإن أثر الإمالة فى تخفيف النطق بتقريب الحركات بعضها من بعض ينبغى أن يقوّم فى ضوء كثرة الصيغ التى يمكن أن تدخلها الإمالة ، وفى ضوء كثرة جريان هذه الصيغ فى الاستعمال اللغوى أيضاً . وقد ذكرنا بعضاً من هذه الصيغ فى الحالات الأربع الأولى من حالات جواز إمالة الفتحة والألف ، وهى صيغ كثيرة الجريان لأن كثيراً منها مصادر وجموع ومشتقات قياسية . وأما بالنسبة لإمالة الفتحة فقط ، فهى وإن كانت لم تشترط فى الخمسة عشر حرفاً وجود الكسر أو الياء — أى أن التناسب قد لا يكون هو هدف الإمالة هنا ، إلا أن فيها تخفيفاً من جانب آخر ، وهو مناسبة الإمالة لانتهاء الكلام بالهاء ، وهى من حيث الكثرة تشمل كل المؤنثات بالتاء المسبوقة بأى من الحروف الخمسة عشر — وهذا كَمٌّ كبير .

ومن تقريب الحركات الذى يشبه الإمالة :

(ا) الكسر لمناسبة الكسرة والياء فى صيغتى فُعول ومفعول . قال سيبويه : « وقد يكسرون أول الحروف لما بعده من الكسرة والياء ، وهى

---

(١) الإتقان النوع ٣٠ (٩٣/١ فى الطبعة غير المحققة) .

لغة جيدة . وذلك قول بعضهم ثُدِيّ وحِقِيّ ، وعِصِيّ ، وجِثِيّ »(١) .

فالحرف الأول فى كل من هذه الكلمات وبابها(٢) مضموم يجوز كسره لمناسبة كسر تاليه . أما هذا التالى فهو مكسور ضرورة لمناسبة الياء بعده . ثم ذكر سيبويه ما جاء من صيغة مفعول شبيهاً بهذا من قول الشاعر : أنا الليث معديا على وعاديا . وقولهم فى الأرض يسنوها المطر مسنية ، ومرضِيّ عنه (أصله الواو من الرضوان) . والمقصود هنا كسر ما قبل الياء لمناسبتها . وقد جاء على الأصل مرضوّ(٣) . ثم أقول : والأمر كذلك فى الكسر قبل الياء فى الجمع على أفعُل(٤) ، وجمع المذكر السالم — إذا كان أىّ منهما منتهياً بواو قلبت ياء نحو أدلٍ جمع دَلْو (أصلها أدلُو) ، ونحو مخرجِىّ وشاهدِىّ ومبعوثِىّ (أصلهن فى الرفع مخرجوى وشاهدوى ومبعوثوى) فإن الضمة التى كانت قبل الواو تقلب كسرة لتناسب الياء(٥) .

(ب) كسر هاء الضمير إذا سبقها كسرة أو ياء . بعد أن ذكر سيبويه أن هاء الضمير (فى إنهُ مثلا) أصلها الضم وبعدها الواو . « لأنها فى الكلام كله هكذا » . قال : « فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة ، لأنها خفية كما أن الياء خفية . . . وهى من موضع الألف ، وهى أشبه الحروف بالياء . فكما أمالوا الألف فى مواضع استخفافاً ، كذلك كسروا هذه الهاء ، وقلبوا الواو ياء ، لأنه لاتثبت واو ساكنة وقبلها كسرة . فالكسرة ههنا كالإمالة فى

(١) الكتاب ٤/٣٨٤ - ٣٨٥ .

(٢) صيغة فعول تأتى جمعاً كعصى ودلى ، ومصدراً كعتى وعسى . فهذان هما البابان .

(٣) الكتاب ٤/٣٨٥ — وقد اختلف فى إعلال اسم المفعول من فعل الذى لامه واو فإذا كان مكسور العين كرضى فإعلاله راجح ، وإذا كان مفتوحها فتصحيحه راجح . انظر القواعد والتطبيقات ٦١ — ٦٢ .

(٤) الكتاب ٤/٣٨٣ .

(٥) الجزئية الخاصة بجمع المذكر من كتاب القواعد والتطبيقات ٥٨ .

الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها»(١) . وذلك مثل به ، فيه ، بهم ، فيهم ، عليهم .. وهنالك من قال « منهِم » بكسر الهاء . ثم ذكر سيبويه أن أهل الحجاز يأتون بها على الأصل مضمومة وبعدها واو(٢) . والذى يهمنا أن كسر الضمير هنا لمناسبة الكسر أو الياء قبله هو الأقوى والأجرى ، وليس لهجة ضعيفة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

الإتباع فى الحركات :

ومعناه تحريك الحرف بمثل حركة حرف آخر تبعاً له . وله صور مطردة منها :

— ضم همزة الوصل تبعاً لضم الحرف الثالث فى الكلمة ، وذلك فى الأمر من كل فعل ثلاثى من باب نصر : أُكْتُب أُخرج . وفى المبنى للمفعول من كل فعل ماض مبدوء بهمزة وصل وذلك إحدى عشرة صيغة(٣) مثل أُحتُقر ، واحرنجم واستضعف أُنقُطع به ، واقعنسس واجلوذ الخ . قال الرضى : « وإذا جاءت (من هذا النوع) همزة مضمومة قبل ضمة مشمة (كسرا) كما فى اختير وانقيد أشمت ضمتها أيضاً كسرة»(٤) . وهذا الإتباع هو الراجح المشهور . وغيره ضعيف غير مشهور(٥) .

— كسر فاء صيغة فعِل الحلقية العين اسمية أو فعلية ، وكذلك فاء صيغة فعيل الحلقية العين إتباعاً لكسر العين فيهما نحو شَهِد ، وفَخِذ ، ورجل مَحِك ، ونحو شهيد ، وسعيد ، ونحيف ورغيف . فيجوز فيها جميعها

---

(١) الكتاب ١٩٥/٤ .

(٢) نفسه .

(٣) انظر الكتاب ١٤٥/٤ — ١٤٦ وشرح الرضى الشافية ٢٥١/٢ ، ٢٦٠ .

(٤) شرح الشافية ٢٦٥/٢ ، وما بين الأقواس إضافة لبيان المراد .

(٥) قال الرضى : « وقد تكسر همزة الوصل قبل الضمة نحو انصر ، اقتدر عليه . وليس بمشهور » (نفسه) .

كسر الفاء إتباعاً . وهذا وإن كان أصله لهجة تميم إلا أنه شاع وقوى حتى حكموا باطراد جوازه (١) .

— إتباع حركة عين المفرد لحركة فائه عند جمعه جمع مؤنث سالما إذا كان هذا المفرد اسماً ثلاثياً ساكن العين غير معتلها ولامدغمها فيقال فى سجْدة ودعْد سجَدات ودعَدات ، وفى خُطْوة وجُمْل خُطُوات وجُمُلات ، وفى كسرة وهند كسِرات وهنِدات ويجوز فى مضموم الفاء ومكسورها فتح العين وإسكانها أيضاً(٢) .

— وهناك — إلى ذلك — إتباع الحركات فى الكلمات المتجاورة كقراءتى « الحمدُ لله » بضم الدال واللام ، وبكسرهما(٣) — وهو باب برأسه — ومن صوره الإتباع فى مثل « قلُ انظُر » بضم اللام من أجل الظاء ، « قالتُ اخرُج » بضم التاء للراء ، « وعذابِ اركض » بضم نون التنوين من أجل الكاف(٤) . . ومشورات كثيرة(٥) .

— والخفة فى الإتباع تتمثل فى استمرار مواضع أداء الحركة فى الفم على هيئة واحدة فى الحرفين ، وتجنب الانتقال من هيئة إلى أخرى .

فتح عين المضارع إذا كانت هى أو لامه حلقية :

وذلك من تناسب الحركة مع الحرف . فقد غلب مجىء مضارع (فَعَل)

---

(١) الحكم باطراده فى شرح الرضى ١/٤٠ .

(٢) انظر الكتاب ٣٩٧/٣ ، ٥٧٩ — ٥٨١ وأوضح المسالك ٣٠٢/٤ — ٣٠٥ وشرح ابن عقيل ١١١/٤ وفى كليهما تصريح بأن هذا إتباع .

(٣) انظر مثلا معجم القراءات القرآنية ٥/١ .

(٤) انظر فى الآيات الثلاث الكتاب ١٥٢/٤ — ١٥٣ وهن بالترتيب من س يونس ١٠١ ، يوسف ٣١ ، ص ٤١ — ٤٢ . وضبط كلمة « عذاب » فى الآية بكسرتين فى المصحف وفى طبعة الكتاب بضمتين .

(٥) مثل منْتِن (بكسر الأول والثالث) أجوءك ، أنبئك (بضم الباء) ، إحب (بكسر الهمزة) (الكتاب ١٠٩/٤) ، اليسروع (بالضم) (نفسه ٢٦٥/٤)، وانظر الخصائص ١٤٣/٢ وشرح الرضى الشافية ٤١/١ ، والأشباه والنظائر (طه سعد) ١٣/١ — ١٧ .

المفتوح العين فى الماضى مفتوحها فى المضارع أيضاً إذا كانت عينه أو لامه حرف حلق كمضارع قرأ ، جبه ، قلع ، ذبح ، دمغ ، رضح ، سأل ، بهر ، بعث ، بحث ، نغر ، فخر وذلك لكون الفتح مناسباً لحروف الحلق — لأن الفتحة من الألف ، والألف أقرب إلى حروف الحلق (يقصد أن صدور زميرها من الحنجرة وجريانه فى هواء الحلق والفم دون تدخل كبير من اللسان جعلها كأنها حلقية) ، ولأن الفتحة خفيفة فتخفف ثقل حروف الحلق(١) .

تناسب صفات الحركات والحروف :

التناسب بين صفة الحرف وصفة حركته طويلة أو قصيرة يختزل عدد هيئات أعضاء النطق ، ويجنب كلفة أداء الهيئات المتتابعة متضادة كالانتقال من حرف مفخم غليظ الصوت مثلا إلى حركة مرققة هى حركته ، أوالعكس . وتلك ظاهرة التفخيم .

تفخيم الحركات وترقيقها :

والتفخيم هو غلظ أو سمن يدخل على صوت الحرف فيمتلىء الفم بصداه . والترقيق نحول يدخل على صوت الحرف فلا يمتلىء الفم بصداه(٢) . والحروف المفخمة هى حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) ، والراء إذا كانت مفتوحة أو مضمومة ، أو كانت ساكنة بعد فتح أو ضم ، واللام فى لفظ الجلالة بعد فتح أو ضم(٣) كذلك .

---

(١) الظاهرة والتعليل فى شرح المفصل ١٥٣/٧ وشرح الرضى ١١٧/١ — ١٢٣ ، وفى ص ١١٩ منه ما يفهم جواز تغيير حركة عين المضارع الحلق العين أو اللام إلى الفتح إن لم تكن كذلك .

(٢) انظر نهاية القول المفيد ٩٦ .

(٣) نفسه ٩٧ — ١٠٣ والكلام عن الراء مستخلص من ص ٩٧ — ١٠٠ مع الاجتزاء عن بعض تفاصيل أحكام الراء وبخاصة فى الوقف . هذا ، ولم أقف عند تفخيم ألف الصلاة والزكاة والحياة ، وكتابتها فى المصحف بواو ؛ لأنها لهجة لم تأخذ صفة الانتشار الكافى لإخراجها عن النطاق المحدود . وقد قيل عنها إنها لهجة لأهل الحجاز . وقيل عن رسمها بالواو إنه للتفخيم ، أو للمح أصلها الواو (فى غير الحياة — وأما فى هذه فقيل : ليعلم أن الواو بعد الياء

والفتحة ، وألف المد ، وواو المد يفخمن إذا ولين أيا من الحروف المفخمة المذكورة بأن كانت أي منهن حركة له . فتفخم فتحات حروف الاستعلاء في طاع ، صلح ، ضحك ، ظلم ، غلب ، خلع ، قلب . وكذلك فتحة الراء في رزق . وتفخم ألف المد في طالع صالح ضاحك ظالم خاسر غالب قالب رازق ، كما تفخم واوه في طولع صولح .. الخ .

— وسائر الحروف مرققة ، ولذا فكل الحركات مرققة معها .

● — التخفيف في الحركات بالحذف :

وهذا أسلوب للتخفيف عريق في العربية أيضاً . وأساسه أن السكون — إذا كان في آخر الكلمة أو الكلام ، أو في نسق لايلتقي فيه بساكن آخر يسبب ثقلا — فهو أخف من الحركة ، لأن حقيقة السكون هو عدم الحركة ، والحركة جهد يؤدى في الكلام كالحرف . ولا شك أن أداء الكلام بكامل فائدته مع الاختصار في الجهد بحذف بعض الحركات أولى وأخف .

وحذف الحركات له عدة صور :

(١) إخلاء الأفعال والأسماء المعتلة الآخر من حركات الإعراب والبناء التي يثقل أداؤها وذلك مثل رمى ودعا والفتى والقنا واهتدى واستدعى والمستشفى والمنجى والكبرى .. فالأسماء والأفعال التي من هذه الأنواع (أعني المنتهية بألف مهما كان أصلها) يتعذر ظهور الحركات إلا إذا قلبت الألف همزة — وهذا يغير حقيقتها ويثقلها . ولذا فإنها لاتظهر عليها أي من الحركات . أما الأفعال والأسماء المنتهية بواو كيدعو أو ياء كيرمى والقاضى ، فلا تظهر عليها إلا أخف الحركات وهي الفتحة . أما الضمة والكسرة فلا تظهران على الواو أو الياء تجنباً للثقل .

= في حد الجمع») أو لأن أهل اليمن يقولون« الحيوه» بفتح الياء وإسكان الواو فالواو بدل من ألف حياة » ويفعلون كذلك بكل ألف منقلبة عن واو كالصلاة والزكاة . وانظر عنها الكتاب ٤/٤٣٢ ، وسر صناعة الإعراب (هنداوى) ١/٥٠٢ ، ولسان العرب وتاج العروس (حيى) .

(ب) ويلحق بهذا ما قال ابن جنى إنه كثير من إسكان الياء والواو فى موضع النصب . يعنى أن الأسماء والأفعال المنتهية بواو أو ياء يجوز حذف حركة النصب منها إذا وقعت منصوبة مثل « عفت إلا أثافيها » ، « أبى الله أن أسمو بأم ولا أب » . وقد ذكر شاهدين آخرين(١) .

(حـ) إخلاء ما يوقف عليه من حركات الإعراب والبناء إن كانت مثل على ذهبْ . قامْ . هو يكتبْ . يقومْ ، ينامْ ، يبيعْ ، لن يكتبْ ، لن يبيعْ . لن يصومْ . . جاء خالدْ . هذا سعدْ . وراح زيدْ ، استمعت إلى صوتْ . فى ليلة القدرْ . هذا كتابكْ اذهب إليهْ ، اكتبهْ . لا رجلْ لا قيدْ . ألا هـوْنْ . . لا كتابْ ، يارجلْ ، يا سعدْ . يازيدْ ، ياقومْ الخ .

وواضح أن هذا مجال عريض للتخفيف يدخل فيه كل ما وُقف عليه إلا الخالى من الحركة أصلاً ، وإلا المنصوب المنون فإن تنوينه يبدل ألفاً فى الوقف مثل قرأت كتابا (٢) .

(د) إسكان عين الصيغ الثلاثية من الأفعال والأسماء إذا اختلفت حركاتها أو ثقلت .

— فالفعل الماضى له ثلاث صيغ للمبنى للفاعل هى فعل بفتح الفاء دائماً مع فتح العين أو ضمها أو كسرها . والمبنى للمفعول منه بضم الفاء وكسر العين فهذه أربع صيغ يجوز تخفيف ثلاث منها بإسكان عينها وهى فَعُل المبنية للفاعل بضم العين وكسرها والمبنية للمفعول .

— والأسماء الثلاثية لها اثنتا عشرة صيغة منها ثلاث بإسكان العين مع فتح الفاء أو ضمها أو كسرها ، والتسع الباقية منها اثنتان لا تأتيان فى الأسماء هما فِعُل بكسر فضم ، وبضم فكسر . تبقى من الصيغ المتحركة العين سبع

---

(١) انظر الخصائص ٢/٣٤١ — ٣٤٢ .

(٢) انظر فى تفاصيل أحكام الوقف شرح الرضى الشافية ٢/٢٧١ — ٢٧٢ ، ٢٧٩ .

هي فَعَل كسبب، وفَعُل كعضد، وفَعِل ككتف، وفُعُل كعُنق، وفِعَل كزُفَر، وفِعَل كعنب، وفِعِل كإبل. يجوز إسكان العين في أربع من تلك الصيغ السبع وهي ما كان على وزن عضد، أو كتف، أو عنق، أو إبل. أي أن الذي لابد — حسب اللغة العامة الفصحى — أن تتحرك عينه من صيغ الأسماء الثلاثية العشر هو ثلاث صيغ فقط وهي ما كان على فَعَل كسبب أو فُعَل كزفر، أو فِعَل كعنب أي ما كان مفتوح العين مع أي من الحركات الثلاث للفاء (١). وقد علمنا أن الفتح أخف الحركات.

— بل إنهم طردوا جواز حذف الحركة هذا في بعض ما تكونت فيه صور تلك الأوزان — التي أجازوا فيها ذلك الحذف التخفيفي للحركة — ولو من أكثر من كلمة.

فقد ذكر ابن جني حروفاً تنزل مع ما بعدها كالجزء منه وهي فاء العطف، وواوه، ولام الابتداء، وهمزة الاستفهام. ثم ذكر أن دخول أي من هذه الحروف على أي من الضميرين (هو وهي) يجيز إسكان هاء الضمير فيقال أهْو..؟ أهْي..؟ فهْو، فهْي، وهْو، وهْي، لهْو، لهْي لأن التركيب يصير حينئذ موازناً لعضُد أو كتِف اللتين أجيز إسكان وسطهما هما وما كان على صيغتهما من الأسماء والأفعال(٢).

— ويبدو من كلام آخر لابن جني أنه ألحق كاف التشبيه بالحروف الأربعة المذكورة، لأنه أجاز إسكان ما وازن بدخولها عليه صيغة فَعِل (ككتف) (٣).

— وذكر الرضي أن المضارع إذا دخلت عليه لام الأمر (وهي مكسورة)، ثم واو العطف أو فاؤه (وهما مفتوحتان) فإن لام الأمر يجوز إسكانها

---

(١) نفسه ١/٣٩ — ٤٤ والخصائص ٢/٣٣٨.

(٢) انظر الخصائص ٢/٣٢٩ — ٣٣٠.

(٣) نفسه.

(أى حذف حركتها) لأن حرف العطف واللام وحرف المضارعة يصرن معاً حينئذ على صيغة تشبه صيغة فَعِلَ كَعَلِمَ . نحو وليضرب ، فلتضرب(١) ثم قال الرضى : « وشبه به ثم ليفعل وهو أقل »(٢) أى أنه يجوز إسكان لام الأمر أيضاً إذا كان العاطف الداخل عليها ثم ، وإن كان أقل .

— ومما شبه بما سبق وقوع صيغة فَعِل كفرح فى غير الثلاثى كقول العجاج : « فبات منتصْبا .. » بإسكان الصاد . وكالذى حكاه سيبويه « أراك منتفْخا » بإسكان الفاء(٣) . واتكئوا على الوصول إلى الصيغة المخففة هذه فقيل انطلْقَ بإسكان اللام وفتح القاف من الأمر « انطلِق » ، وقيل « لم أجْدَ من ذلكم بدا » ، وقيل « لم يَلْدَه »(٤) .. لكن هذا واضح القلة .

— ومثل ذلك فى القلة ما حمل عليه من مركبات يمثل الإسكان فيها مخالفة إعرابية (٥) .

— وهناك صور من تخفيف الحركات وغيرها كالوقف على ما قبل آخره سكون بنقل حركة إعرابه إلى الساكن وإسكان الآخر وحده تخلصاً من التقاء الساكنين — وإن كان هذا على بابه — نحو هذا بكُرْ ، ومررت ببكِرْ (٦) ، وكالوقف على ما آخره همزة بإبدال الهمزة حرف لين أو مد (٧) ، وكالوقف على المنقوص بحذف الياء أو إعادتها كهذا قاضْ وقاضى . والقاضْ والقاضي(٨) . وبعض هذا مرجوح ،

---

(١) شرح الشافية ١/٤٤ . (٢) نفسه ص ٤٥ .

(٣) انظر الخصائص ٢/٣٣٨ — ٣٣٩ وشرح الرضى ١/٤٥ .

(٤) نفس الموضعين فى الكتابين .

(٥) كما قيل « ومن يتق فإن الله معه » بإسكان القاف ، « اشترْ لنا » « ولا تكثرْ كريا » بإسكان راءى اشتر وتكثر ، « فاليوم أشربْ غير مستحقب » بإسكان باء أشرب « وقد بداهنك » بإسكان النون ... إلى مواضع أخرى . انظر الخصائص ٢/ ٣٣٩ — ٣٤١ .

(٦) انظر مثلا شرح المفصل ٩/٧٠ — ٧٢ .

(٧) نفسه ص ٧٣ . (٨) نفسه ص ٧٤ — ٧٦ .

وكحذف الواو والياء الموقوف عليهما للفواصل (١) ... إلى منثورات كثيرة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

● وبعد . فلعل ما فصلناه من صور حسن التأليف لمبانى الكلم فى العربية ، وما أوجزناه من تطبيقاتها يثبت هذه الخصيصة للغة العربية إثباتاً علمياً محققاً ومؤصلا وتطبيقياً .

ويبقى جانب الاختصاص أعنى انفراد العربية بالاتصاف بحسن تأليف مبانى الكلم فيها . وهى الدعوى التى صرح بها الفارابى وابن فارس وابن سنان — على ما أسلفنا .

ولتيسير المقابلة بين العربية وغيرها فى معالجة هذا الجانب فإننا نذكّر بالعناصر الأساسية فى معالجتنا لصور حسن تأليف مبانى الكلم فى العربية .

فقد عالجنا وحققنا : —

١ — قلة عدد الحروف التى بنيت منها جمهور الكلمات العربية . واعتمدنا فى ذلك على إحصائيات علمية .

٢ — أن الأبنية الكثيرة الحروف فى العربية بنيت مخففة باشتراك حروف الخفة (الذلاقة) فيها . واستخرجنا ذلك من إحصائيات علمية .

٣ — أن الكلم العربية بنيت فى الأصل متسقة ؛ فلم يجمع فى أى منها حروف تتنافر أو تتضاد ، وأن ما شذ من ذلك لايتجاوز نسبة الندرة . واستخرجنا ذلك أيضاً من إحصائيات .

٤ — أنهم أجروا — فى ما استشعروا ثقله من ألفاظهم — ما يخففها وذلك بكثير من الوسائل اللغوية المطردة :

— كالإبدال — وهو يشمل إبدال الحرف للتخفيف دون نظر إلى تقريبه من حرف آخر فى الكلمة كإبدال تاء التأنيث ونون التنوين والتوكيد الخفيفة فى الوقف . وإبدال أحد أضعاف الحرف المضعف تخلصاً من

(١) نفسه ص ٧٨ — ٨٠ .

ثقل التضعيف . ويشمل الإبدال للتقريب كإبدال حروف العلة والهمزة بعضها من بعض لتناسب مواقعها من الكلم والحركات السابقة أو اللاحقة لها ، وكإبدال تاء افتعل طاء أو دالا لتناسب فاءها ، وإبدال السين صاداً إذا وقعت قبل حروف (غ خ ق ط) ، وإبدالها زايا إذا وقعت ساكنة قبل الدال وكذا إبدال الصاد الساكنة أو إشرابها قبل الدال ، وإشراب الجيم والشين الساكنتين قبل الدال أيضاً : وإبدال النون الساكنة ميما قبل الباء .

— وكالإدغام وهو من التقريب ولا يتم إلا بالإبدال . وقد تناولناه بأنواعه : إدغام المثلين ، والمتقاربين سواء كان كل منهما فى كلمة أو فى كلمتين — مع وقفة خاصة عند صيغ افتعل وتفعّل وتفاعل .

— وكالحذف : حذف همزة أفعَل من مضارعه ومشتقاته القياسية ، وحذف إحدى التاءين من مضارع صيغ تفعّل وتفاعل وتفعلل ، وحذف عين المثال الواوى من مضارعه وأمره ومصدره المكسور الفاء . وحذف عين المضعف ، وحذف عين الأجوف ولام الناقص لالتقاء الساكنين عند إسنادهما إلى الضمائر . وحذف لام الناقص للجزم فى المضارع وللبناء فى الأمر . حذف الحركات كلها من آخر المنتهى بألف ، والضم والكسر من آخر المنتهى بواو أو ياء أسماء أو أفعالا . وحذف المد لفظاً من آخر المنتهى به إذا وليه ساكن فى أول الكلمة التالية . . وحذف اللام من كثير من الأسماء المنتهية بواو أو ياء أو هاء أو حاء ، وحذف آخر المنادى ترخيما ، وحذف مازاد عن الأصول فى تصغير الترخيم . ومنثورات أخرى كثيرة .

— وكالزيادة المريحة متمثلة فى زيادة همزة الوصل لتيسير نطق ما سكن أوله فى بدء الكلام ، وزيادة هاء الوقف لتيسير الوقوف بما يناسب انتهاء النفَس مع بيان الحركة الموقوف عليها .

● — أنهم التزموا حسن تأليف الحركات بالمراوحة بين الحركة والسكون

فى الأبنية . فمنعوا توالى أربع حركات ، ومنعوا التقاء الساكنين ومنعوا توالى الحركات المتضادة .

— ثم أدخلوا — أو التزموا — كثيراً من وسائل التخفيف :

— كالتقريب فى الحركات ليتناسب بعضها مع بعض ، ومع الحروف — وشمل ذلك إمالة الفتحة والألف ، وإمالة الفتحة وحدها ، لمناسبة الكسرة أو الياء ، وكسر فاء صيغة فعول ببابها — إذا كانت منتهية بياء مشددة — لكسر عينها ، وكسر عين صيغ مفعول ومُفعِل وما إليها — إذا كن ينتهين بياء مشددة — لمناسبة تلك الياء ، وعين صيغة أفعُـل — إذا انتهت بياء مقلوبة عن واو — لمناسبة تلك الياء . وشملت أيضاً كسر هاء الضمير إذا سبقتها ياء أو كسرة .

— والإتباع فى الحركات وله بضع صور مطردة .

— وفتح عين مضارع (فَعَل) إذا كانت عينه أو لامه حلقية .

— وتفخيم حركات الحروف المفخمة .

— وكحذف الحركات (الإسكان) وله عدة صور مطردة .

— إلى بعض صور التخفيف فى الوقف .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

آن إذاً أن نعقد المقابلة بين العربية وغيرها فى خصيصة حسن تأليف أبنية الكلم وذلك فى ضوء ما فصلناه من قبل — ولخصناه آنفاً — عن تحقق هذه الخصيصة فى اللغة العربية أوسع تحقق . ونختار من اللغات العالمية أوسعها وهى الإنجليزية للمقابلة بالعربية .

١ — فأما بالنسبة للجوانب التى اعتمدنا فيها على إحصائيات للعربية وهى : قلة عدد الحروف فى الكلمة العربية بصورة غالبة ، وأن الأبنية الكثيرة الحروف وضعت مخففة باشتراك حروف الخفة (الذلاقة) فى بنائها ، وأن مكونات الكلم العربية بنيت بحيث لا تتنافر حروف أى منها بعضها مع بعض لقرب مخارجها أو لغير ذلك . هذه الجوانب الثلاثة لم أستطع عقد مقابلة علمية بين العربية والإنجليزية (أو غيرها) فيها ، لأن إحصائيات كم مكونات الأبنية فى تلك اللغات ، وكذلك إحصائيات تكرار

الحروف وتتابعها فى الكلم — وهى التى تعرف منها الحقيقة بشأن تلك الجوانب — لم أصل ببحثى إلى أنها قد أجريت للإنجليزية أو لغيرها ، وذلك بالرغم من بحثى كثيراً فى ما أتيح لى من كتب الصوتيات اللغوية ، والإحصاء، والرياضيات اللغوية ، والمعجميات ، والقواعد اللغوية(١) . وقد تعاون معى بعض الإخوة الأفاضل الذين هم أوثق منى صلة بالدراسات اللغوية الأوربية ، فلم نصل إلى هذه الإحصاءات ، ولا إلى ما يشير إلى وجودها ، وإذ كانت هذه الإحصاءات قد أجريت للعربية فى أكبر معاجمها(٢) ، فلنا أن نسجل — ولو إلى حين — أن العائق عن إجراء المقابلة العلمية الكاملة بين العربية وغيرها فى تلك الجوانب لم يكن من قبل العربية .

— ثم علينا أن نلحظ أن إجراء مثل تلك الإحصائيات فى اللغات الأوربية تعوقه عقبتان — إذا أردنا أن تكون المقابلة دقيقة تماماً :

● الأولى أن طبيعة العربية يسرت إجراء الإحصاءات بتجريد الكلم من الحركات والزوائد ، لأن اللغة العربية لغة اشتقاقية يناط المعنى فيها بحروف أصلية صامتة تركب معاً بترتيب معين وتدخل الحركات وحروف الزيادة على ذلك الأصل فى صور جد كثيرة لتعبر عن إضافات وتحويرات جد كثيرة فى معنى الأصل ، ولكنها دائماً مرتبطة به دائرة فى فلكه لاتنقطع عنه أبداً . ولهذا فإنه من السهل الميسور على أدنى دارسيها مستوى أن يحدد التركيب الأصلى مجرداً إياه من الحركات والزوائد .

أما اللغات الأوربية فهى ذات طبيعة مختلفة ، لأنها لغات لصقية ، الجذور أو المكونات الأصلية لألفاظها متعددة الأصول (بالنسبة للإنجليزية

---

(١) بحثت فى قسم المراجع الأجنبية فى المكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة — وهو زاخر بالمراجع من الكتب والدوريات بمختلف اللغات فى هذا الجانب اللغوى .

(٢) من حق العربية على كل اللغويين أن ينوهوا بالجهد العظيم الذى أنجزت به تلك الإحصاءات للعربية فى عدد من أكبر معاجمها الصحاح ولسان العرب وتاج العروس . وقد قام بهذا الجهد المشكور الدكتور على حلمى موسى ، وظاهره وأكمل جوانب عمله بذكر كثير من دلالات تلك الإحصاءات الدكتور عبد الصبور شاهين . جزاهما الله خيراً .

مثلا هناك أصول سنسكريتية ويونانية ولاتينية وجرمانية قديمة وشمالية وشرقية وغربية وساكسونية قديمة وإنجليزية قديمة ومتوسطة الخ) (١) مختلفة الأنواع اللغوية (اسم فعل صفة الخ) ومع تركب كثير من المفردات من أكثر من أصل ، وغموض حقيقة بعض الأصول ، ودخول اللواحق من بوادىء وكواسع (٢) ، وتعدد مواقع بعض الأصول واللواحق ، وتعدد الأطوار التي مرت بها هذه وتلك قد يصعب تحديد الجذر الأصلي .

هذا ، بينما لاتزيد الكلمات المنحوتة حقيقة — لا اجتهاداً ولا ادعاء — في العربية عن حد الندرة . وهذا النوع وحده هو الذى يشبه بعض المركبات في اللغات الأوربية (٣) .

— والعقبة الثانية مبنية على الأولى فإنه في ضوء ماأسلفناه عن طبيعة اللغات الأوربية لايتصور تجريدها من الحركات لبيان أصول تركيبها . ولعل هذا هو السبب في أن الأوربيين لم يجروا تلك الإحصاءات .

— ولنا — مع ذلك — أن نلاحظ قلة تردد بعض الحروف في أبنية الإنجليزية والفرنسية كحروف Q,K,X و y,j وZ وبخاصة في صدور تلك الأبنية . وقد يرجع هذا إلى الاستثقال بدليل تشابه كل من حروف المجموعة الأولى وحرفي المجموعة الثانية . من حيث المخرج والصوت .

ولنا أيضاً أن نلحظ امتناع تتابعات معينة في صدور أبنية الإنجليزية والفرنسية من الحروف المتجانسة كالحروف التي تشترك فيها الشفتان B,F,M ، والحروف النطعية D,T وحرفا L,R فليس في الإنجليزية أو الفرنسية ما أوله

---

(١) See, The Universal English Dictionary. The Introduction p. ix.

(٢) See A University Grammar of English pp. 430—449.

(٣) الذى جمعه المزهر من الكلمات المنحوتة حقيقة نحو ثلاثين انظره ١/ ٤٨٢ — ٤٨٥ وكان لابن فارس اجتهاد بشأن مازاد من كلمات اللغة عن ثلاثة أحرف أصول عرضه في المقاييس انظره مثلا ٣٢٨/٣-٣٣٦ وانظر محاولة العلامة أنسطاس الكرملي في نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ٢ — ٧ وهناك غيره .

تتابع F أو Fm أو Bf أو Bm أو Mb أو Mf — الخ . (بدون فاصل) (١) . ولكن هذا لايفسر ضرورة بالاستثقال لقرب المخارج ، لأن هناك تتابعات أخرى مثل Lm ، Ln ، Ml لم تأت أو لم تكثر فى صدور الأبنية فى اللغتين — مع أن مخارج حروفها غير متجانسة .

— وواضح أن مثل هذه الملاحظات (العابرة) لاتكفى ، ولا تمثل المقارنة العلمية المطلوبة .

٢ — وبالنسبة لمنع العربية البدء بالساكن والتقاء الساكنين وأنها تخفف وقوع الأول بهمزة الوصل وتتخلص من التقاء الساكنين بالحذف أو التحريك . فإن بعض أئمة العربية يجعلون الابتداء بالساكن والتقاء الساكنين متعذرين ويردون ذلك إلى الطبع الإنسانى(٢) . ولوكان كذلك للزم أصحاب اللغات الأخرى ما لزم أهل العربية من تخفيف هذا وذاك . لكن الواقع أن ربط منع الأمرين بالطبع الإنسانى مهتز غير مسلم ، لأن البدء بالساكن والتقاء الساكنين شائعان فى ما عرفت من اللغات الأوربية كالإنجليزية والفرنسية لايستثقله أهل هاتين اللغتين . بل إن مما نحس واقعاً أن العرب الذين يجيدون أياً من اللغتين يسيغون النطق فى الحالتين ، ولا يشعرون بثقله — وإن كانوا لايصلون إلى هذا المستوى إلا بعد دربة ومران مطولين . فالأمر إذاً أمر ثقل لاتعذر طبعى . وهو ثقل نسبى يزول بالمران . نظر العرب إلى جانب الثقل فتخلصوا مما نجاءهم منه بما تخلصوا ، ونظر غيرهم إلى أن هذا الثقل يزول بالمران فلم يأبهوا له .

---

(١) إنما خصصنا نفى التتابعات المذكورة بأوائل الجذور لأن هذه الأوائل تسهل ملاحظتها ، واشترطنا عدم الفاصل ، لأن الفصل بحركة يمكن أن يخفف التنافر ويسيغ النطق (تأمل الفرق فى النطق بين مستشزرات — حيث الشين ساكنة وتليها الزاى فثقل النطق ، وبين (نظر إليه شزرا » حيث الشين متحركة فسهل نطق الزاى بعدها) ثم إنهم فى الإنجليزية والفرنسية يسيغون البدء بالساكن فلا يكون امتناع التتابع بسببه — وإنما قد يكون حينئذ بسبب تقارب مخرجى الحرفين .

(٢) انظر مثلا الخصائص ١/٩٠ – ٩٢ وشرح المفصل ٩/١٣١ – ١٣٢ ، وشرح الرضى الشافية ٢/٢٥١ .

– وتمثيلا للبدء بالساكن فإنى أحيل على التراكيب المبدوءة ب (bl...) و (br.) و (Cl...) و (dr..) – مثلا – فى أى معجم للإنجليزية أو الفرنسية . ولالتقاء الساكنين فإنى أحيل على التراكيب المبدوءة ب (str..) و (estr..) و (const..) فى معاجم اللغتين . بل قد يلتقى ثلاثة سواكن كما فى التراكيب المبدوءة ب (Constr...) (١) .

٣ – وبالنسبة للتخفيف بالإبدال والتقريب بكل صوره فقد عرفت ظاهرة التقريب فى اللغة الإنجليزية باسم المماثلة Assimilation وعرّفت هذه المماثلة بأنها التكيف المتبادل بين صوتين متتاليين أى أن يتكيف أو يتعدل آخر هذا الصوت بما ينسجم مع أول تاليه وبالعكس ، وذكر أنه ليس من الضرورى أن يكون التتالى أو التجاور بين الصوتين المتأثرين بالمماثلة مباشراً(٢) . وواضح أن هذا التعريف يتسع لصور الإبدال التقريبى والمضارعة والإدغام العربية ؛ إذ لا يقع واحد منهما إلا تأثراً – بصورة ما – بما قبله أو بعده .

– إن تلك المماثلة تشمل عندهم تغير صفات الحروف من جهر إلى همس ومن انفجار إلى احتكاك – مثلا – وبالعكس ، ما دام ذلك يقع تأثراً بالمجاورة (وهذه مضارعة) ، كما تشمل تغير الوحدة الصوتية Phoneme إلى أىّ من صورها أو بدائلها Allophone ، وإلى وحدة صوتية أخرى (وهذا كالإبدال والقلب) كما أنها تقع نتيجة للتجاور سواء أكان ذلك التجاور فى كلمة واحدة أم فى كلمتين ، وقد أسلفنا أنها تشمل الإدغام أيضاً ، وذلك باحتسابه مماثلة كاملة . وأخيراً فإنها تشمل نوعى تأثر الحروف بعضها ببعض سواء أكان تأثراً تقدمياً يتأثر فيه الحرف بما سبقه فى سلسلة النطق أو رجعياً يتأثر فيه الحرف بما تلاه(٣) .

---

(١) ربما كان لخفة نطق بعض الحروف أثر فى قبول البدء بها ساكنة أو اجتماعها مع سواكن أخرى مثل s,t,r, ولكن هذا أمر يحتاج لبحث خاص .

(٢) See: Introduction to Phonetics, L.F. Brosnahan, P. 132.

(٣) See: Elements of Genenral Phonetics. David Abercrombie, P. 133, 136–139 and, Introd. To Phonetics P. 132–134, 138–139.

ومن الأمثلة التي ذكروها للمماثلة الواقعة في كلمة واحدة. كلمة triumph حيث قد تنطق ال m فيها ميما شفوية أسنانية (تشبه الميم الخفاة في العربية) تأثراً بال f بعدها ، وكذلك كلمة happen قد تنطق ال n في آخرها كال m تأثراً بال P قبلها ، وكلمة incom تنطق ال n فيها نوناً حنكية velar (قريبة من أقصى الحنك) تأثرا بال C بعدها (١) .

— ومن أمثلة تلك المماثلة بين حروف في كلمتين (نهاية كلمة وبداية أخرى) أن ال n في كلمة ten تنطق m في عبارة ten minutes تأثراًبال m التي بعدها(٢).وأنال s فيفعلالكينونة is قبلHeمثلاقدتنطق كالزاى الفارسية(ژ) تأثرا بهيئة نطق الشين sh بعدها ، بل قد تنطق وكأنها شين خالصة لتماثل الشين التي تتلوها(٣) . كذلك فإن y في did you قد تنطق كالزاى الفارسية تأثرا بال d قبلها (٤) .

— ومن أمثلة المماثلة في صفات الحروف أن الصوتين المهموسين في نهاية black ، birth قد ينطقان مجهورين في blackboard و birthday تأثراً بال b ، d اللتين بعدهما . وال s في his daughter مجهورة تأثراً بال d بعدها ، بينما هي في his son مهموسة لاجتماعها مع ال s المهموسة مثلها(٥)،والـ S علامة الجمع تجهر بعد الحروف المجهورة في مثل Pens وتهمس بعد المهموسة في مثل books .

— ومن الصور المطردة للمماثلة عندهم أن بادئة النفي in تتحول إلى قبل الكلمات المبدوءة بـ L مثل Logical فيقال illogical بدل inlogical — وهذا يذكرنا بإدغام النون الساكنة في اللام في العربية مثل منْ لا ، إن لا ، وتتحول إلى ir قبل الكلمات المبدوءة بـ r فيقال

(١) See:Introduction to Phonetics pp. 132–133.

(٢) See:Elements of General Phonetics 136

(٣) Ibid. P. 133, 137.

(٤) Ibid. P. 135.

(٥) Ibid. 136.

irrelevant لا . . . inre — وهذا أيضاً يذكرنا بإدغام النون الساكنة في الراء مثل منْ رجل ، وتتحول إلى im قبل الكلمات المبدوءة بحرف شفوى فيقال Improper (١) لا . . . Inpr — وهذا يذكرنا بإقلاب النون الساكنة ميما قبل الباء فى مثل منْ بعد .

- وجدير بالذكر أن مفهوم المماثلة الكاملة Complete Assimilation عندهم يشمل تماثل الصوتين المتجاورين كما فى ten minutes — وهـذا يؤدى إلى الإدغام كما ترى . ويشمل اتحاد وضع فتحة الحنجرة فى الصوتين أى تماثل الصوتين فى الجهر أو الهمس(٢) — وهذا لا يؤدى بالضرورة إلى الإدغام على ما هو معروف فى العربية وإنما هو من المضارعة .

- ثم إنهم يقررون أن المماثلة شائعة فى لغات كثيرة(٣) . وأشاروا إلى المستوى التاريخى من المماثلة ، وفسروا به بعض الصيغ فى التركية والفنلندية والفرنسية(٤) بالإضافة إلى الإنجليزية . ونجتزىء مما ذكروه بمثلين : فالكلمة الإنجليزية orchard (بستان : حديقة فواكه) أصلها من كلمتين ort+yard وأبدل تتابع ((ty)) إلى ما ينطق ((ch)) بمماثلة تقدمية . ولأن ذلك حدث من زمن قديم فقد تغير هجاء الكلمة ليماثل نطقها(٥) . والكلمة الفرنسية (Chercher) (يبحث) أصلها Cercher (٦) . أى أن ال C أبدلت إلى ما ينطق شينا لتناسب الشين التالية .

٤ — أما التخفيف بالحذف فهناك فى الإنجليزية اختصار لحرف النفى not مع الأفعال المساعدة ، واختصار لهذه الأفعال نفسها أحياناً على ما يوضحه ما يلى :

---

(١) See: A University Grammar of English p. 431.

(٢) See: Elements ... p. 137.

(٣) Ibid. and Introduction to Phonetics 134.

(٤) See Introduction p. 134, Elements p. 158.

(٥) See : Elements, p. 138.

(٦) See: Introduction 134.

(ا) مع الفعل Do يجوز اختصار حرف النفى not بحذف ال o لتصير الصيغ المنفية كالآتى

don't و does'nt, didn't

(ب) والفعل Have تصير صيغه المثبتة هكذا

'd ← had ، 's ← has ، 've ← have

وتصير صيغه المنفية hadn't ، hasn't ، haven't

(حـ) والفعل Be تصير صيغه فى الإثبات

're ← are ، 's ← is ، 'm ← am

وفى النفى (ain't) ، isn't ، aren't وفى الماضى wasn't ، weren't

وتستعمل (ain't) أيضاً تعبيراً عن

haven't ، hasn't ، aren't ، isn't

(د) والأفعال المساعدة الشكلية (modal) : will تصير 'll و would تصير 'd ومع النفى can not تصير can't, shall not تصير shan't و will not تصير won't وسائرها تختصر فيه not فقط(١) .

— هذا . وهناك من الألفاظ فى الإنجليزية مالا تنطق بعض حروفه مثل ال k فى know و knife وكثير من المبدوءات ب k ساكنة ، ومثل الـ gh فى daughter و eight ومشتقاتها ، وما إلى ذلك .

٥ — وبالنسبة لأسلوب التخفيف بالإبدال فى الوقف ، وسائر تخفيفات الوقف فلا أعرف لها مقابلا فى الإنجليزية .

٦ — وكذلك بالنسبة للإبدال تخففاً من ثقل التضعيف . وربما نجد نظيراً لهذا أو لغيره فى صوغ التراكيب الإنجليزية من أصولها ، ولكن هذه مرحلة تاريخية .

— هذا ما تيسرت معرفته من أساليب التخفيف فى الإنجليزية المضارعة لأساليب التخفيف فى العربية .

---

(١) See: A University Grammar of English p.p. 35-37.

وهنا تعليقان :

الأول أنه بالنسبة لتناول المماثلة Assimilation فى الإنجليزية الجانب التاريخى أعنى ما حدث للألفاظ من أطوار تاريخية أساسها المماثلة فإن الدراسة العربية لم تخل من هذا النوع . فقد عقد ابن جنى باباً فى الخصائص « فى تدريج اللغة » والتدريج هو الذى نعبر عنه « بالتطور » تناول فيه عدة ألفاظ كانت مجالا لتطور لفظى منها قولهم صُبية وصُبيان بضم الصاد فيهما وكان ينبغى أن تكونا بالواو لأنهما من صبا يصبو ، ولكن الواو قلبت ياء فى صِبْية وصِبْيان بالكسر لمناسبته فثبتت على ذلك بعد ما تركوا الكسرة إلى الضمة . وكذلك قولهم أبيض لَياح بفتح اللام وإنما الياء منقلبة عن واو من حين قالوها لِياح بالكسر (من لوح) ثم ثبتت بعد زوال الكسر . ومثل هذا قولهم الطِنّة بالطاء المهملة(وهى الظنة) لما قالوا اطّنّ ، وقولهم ديّمت السماء (وهى من الدوام) لما قالوا ديمة وديَم . وغير ذلك(١) .

وقد ذكر سيبويه عدة من الأمثلة الداخلة فى هذا التدريج وإن لم يسمها تدريجاً كالتُخَمة والتُدَعة والتُهَمة والتُكَأة وأفعالها وكلها تاءاتها مبدلة من واو لعلة صرفية ثم ثبتت فى بعضها بعد زوال العلة فقالوا أتخمه وأتكأه والتقوى(٢) .

وهناك غير هذا . إلا أن التطور التاريخى للألفاظ العربية الأصل هو من داخل اللغة وهو محدود جداً ، لكن الروافد الأساسية للألفاظ فى الإنجليزية والفرنسية هى من لغات ولهجات ليست إنجليزية أو فرنسية أصلا ، والتطور فى تلك الألفاظ ليس مقصوراً على قواعد التركيب اللغوية الداخلية ، وإنما تدخل فيه العادات والطبائع الصوتية واللغوية لهذه الشعوب التى اقترضت منها تلك الألفاظ .

التعليق الثانى : أنه إذا كانت الصورة التى قدمتها عن وسائل تخفيف الأداء اللغوى فى الإنجليزية كاملة أو قريبة من الكمال فإن هذه الخصيصة

---

(١) انظر الخصائص ١/٣٤٧ — ٣٥٥ .

(٢) انظر الكتاب ٣/٤٦٤ — ٤٦٥ .

« حسن تأليف الكلم » تكون قد بلغت في العربية — من شمول المستويات وكثرة الوسائل وتنوعها واطرادها — مبلغاً لا تحلق للإنجليزية أو لما في مستواها في هذا الشأن أن يتطاول لمناظرة العربية فيه . فإن مستوى واحداً أو وسيلة واحدة من وسائل التخفيف في العربية توازن كل ما جاء في الإنجليزية من سبل التخفيف .

— وحتى مع اعتداد ما رأيناه في دراسة المماثلة Assimilation صورة مجملة فحسب ، فإن العناصر التي تناولتها هذه المماثلة ، والأمثلة ، وأسلوب المعالجة كل ذلك لا يوحي بأن وراء تلك الصورة المجملة صوراً مفصلة بقواعد مبسوطة متنوعة ومطردة تبلغ أو تقارب ما عرضناه من مستويات التخفيف ووسائله المتنوعة في العربية .

— ولا يقولن قائل إن وسائل التخفيف إنما يحتاج إليها في اللغات التي يستثقل أداؤها اللغوي ؛ فهذا أشبه بالمغالطة ، لأن الميل الطبعي في الإنسان إلى التخفف والراحة يأخذ به دائماً نحو الأيسر والأسهل ولو كان ما هو فيه ميسوراً سهلا . ولدينا من تلك الوسائل التي اتخذوها للتخفيف واقتصاد الجهد من المماثلة والحذف شاهد على وجود الاستثقال والميل إلى التخفيف عندهم أيضاً .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

• وأحسب أن من حقنا الآن أن نقول بثقة كاملة معتمدة على دراسة علمية مؤصلة إن العربية تتصف بحسن تأليف الكلم فيها أصالة ، وإنها تتخذ من السبل ما يكفل تماماً تحقق حسن التأليف فيها دائماً مهما تعددت صيغها وتراكيبها . وإن هذه الصفة حقيقة ثابتة لها لا يمكن دحضها .

— ثم أن نقول إن ما عرفناه من وسائل تخفيف الأداء اللغوي في الإنجليزية أوسع اللغات انتشاراً يقنعنا بأن حسن تأليف الكلم — الذي ثمرته خفة الأداء اللغوي — هو خصيصة للغة العربية تنفرد بها عن سائر اللغات ، نقول ذلك ونتمسك به إلى أن يظهر ما يقدح في هذا الانفراد ، ويثبت ثبوتاً علمياً أن هناك ما يناد العربية في ذلك .

المراجـــــع

١ – الإتقان فى علوم القرآن للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى
– تحقيق محمد أبو الفضل . ط ٣ . مصطفى البابى الحلبى
– طبعة أخرى : الإتقان (وبهامشه : إعجاز القرآن للباقلانى) ، (تصوير) . عالم الكتب

٢ – إحصائيات جذور معجم لسان العرب . د . على حلمى موسى
مطبوعات جامعة الكويت – ١٩٧٢م

٣ – أساس البلاغة (معجم) لجار الله الزمخشرى
دار المعرفة – بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٤ – أسباب حدوث الحروف تصنيف الرئيس أبى على الحسين ابن سينا ، نسخه وصححه ووقف على طبعه : محب الدين الخطيب . مطبعة المؤيد . القاهرة ١٣٣٢ هـ .

٥ – الاستدراك على سيبويه فى كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مهذباً . تأليف : أبى بكر محمد بن الحسن الأشـبيلى الزبيدى – باعتناء المستشرق الإيطالى اغناطيوس كويدى . روما ١٨٩٠ – مكتبة المثنى . بغداد .

٦ – الأشباه والنظائر فى النحو ، للشيخ العلامة جلال الدين السيوطى – تحقيق: طه عبد الرؤف سعد ، تصوير : دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٥ هـ/١٩٨٤ توزيع : دار الباز – مكة .

٧ – إصلاح المنطق . يعقوب بن السكيت . تحقق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هرون . دار المعارف – القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠ م

٨ — الأصـــوات اللغوية د . إبراهيم أنيس — مكتبة الأنجلو المصرية — الطبعة الرابعة — ١٩٧١ م

٩ — الأصوات والإشارات . ا . كندارتوف . ترجمة : شـــوقى جلال الهيئة المصرية العامة للكتاب (العلم للجميع) ١٩٧٢ م

١٠ — الأفعال لأبى عثمان سعيد بن محمد السرقسطى . تحقيق : د . حسين محمد شرف . مراجعة د . مهدى عـــلام — مجمع اللغة العربية — القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م

١١ — أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد (معجم) للعلامة سعيد الخورى الشرتونى . مطبعة مرسلى اليسوعية بيروت ١٨٨٩ م

١٢ — الأقصى القريب فى علم البيان لأبى عبد الله محمد بن عمر التنوخى

١٣ — الإقناع فى القراءات السبع لأبى جعفر أحمد بن على (ابن الباذش) تحقيق : د . عبد المجيد قطامش — مطبوعات مركز البحث العلمى وإحياء التراث بجامعة أم القرى ، ط ١ — ١٤٠٣ هـ

١٤ — أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - عبـــد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصارى. ومعه عدة السالك إلى توضيح أوضح المسالك للشيخ محمد محيى الدين . دار الجيل . ط ٥ ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

١٥ — الإيضاح فى علل النحو لأبى القاسم الزجاجى ، تحقيق : د/مازن المبارك . دار النفائس — بيروت ط ٤ — ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م

١٦ — البارع فى اللغة — لأبى على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى تحقيق : هاشم الطعان . مكتب النهضة (بغداد) ، دار الحضارة (بيروت) ط ١ — ١٩٧٥ م

١٧ — بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى . تحقيق : محمد على النجار . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — مصر ١٣٨٣ — ١٣٩٣ هـ

١٨ — البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق وشرح : عبد السلام هارون — دار الفكر ط ٤ (بدون تاريخ)

١٩ — تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة — شرحه ونشره : السيد أحمد صقر . دار التراث — الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م

٢٠ — تاج العروس من جواهر القاموس (شرح القاموس) للعلامة مرتضى الزبيدى . ط ١ — المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ

٢١ — تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهرى
تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار — دار العلم للملايين ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

٢٢ — التطور النحوى للغة العربية — محاضرات — للمستشرق الألمانى برجشتراسر . أخرجه وصححه وعلق عليه : د / رمضان عبد التواب مكتبة الخانجى بالقاهرة ، دار الرفاعى بالرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م

٢٣ — التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية . تأليف : الحسن بن محمد بن الحسن الصغانى . تحقيق ومراجعة مجموعة من الأساتذة . مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ — ١٩٧٩ م

٢٤ — تكملة المعاجم العربية للمستشرق رينهارت دوزى — نقله إلى العربية وعلق عليه : د / محمد سليم النعيمى . دار الرشيد للنشر . الجمهورية العراقية . (يجرى إخراجه فى أجزاء متعاقبة منذ عام ١٩٧٨ م)

٢٥ — تهذيب خصائص الإمام على للإمام الحافظ الحجة أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى : حققه وخرجه أبو إسحاق الجوينى الأثرى حجازى بن محمد بن شريف ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ — ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م

٢٦ — تهذيب اللغة (معجم) لأبى منصور الأزهرى . تحقيق : عبدالسلام هارون ومراجعة : محمد على النجار . وآخرين فى تحقيق ومراجعة

سائر الأجزاء — المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر — الدار المصرية للتأليف والترجمة

٢٧ — التوطئة فى اللغة العبرية . د / فؤاد حسنين على ، الطبعة الأولى ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م

٢٨ — التيسير فى القراءات السبع للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى — عنى بتصحيحه أوتو برتزل ، دار الكتاب العربى ، ط ٢ — ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

٢٩ — الجاسوس على القاموس . أحمد فارس الشدياق . طبعة الجوائب ١٢٩٩هـ . (تصوير : دار صادر)

٣٠ — جمع الجوامع أو الجامع الكبير للعلامة الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية — ط - الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣١ — الحيوان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق وشرح : عبدالسلام هارون . مصطفى البابى الحلبى . ط ٢

٣٢ — الخصائص صنعة أبى الفتح عثمان بن جنى . تحقيق : الشيخ محمد على النجار — دار الكتب المصرية / القسم الأدبى . نشر دار الكتاب العربى

٣٣ — دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس . د . عبد الصبور شاهين ، د . على حلمى موسى . مطبوعات جامعة الكويت

٣٤ — درة الغواص فى أوهام الخواص للقاسم بن على الحريرى . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ط . دار نهضة مصر للطبع والنشر

٣٥ — ديوان الأدب لأبى إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى . تحقيق : د . أحمد مختار عمر . مراجعة : د . إبراهيم أنيس . مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ط ١ . ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

٣٦ — الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي . تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر . مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٠ م

٣٧ — سر صناعة الإعراب . لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : د.حسن هنداوي ، دار القلم — دمشق ط ١ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، وقد طبع الجزء الأول وحده بتحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م

٣٨ — سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي . شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي ط : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

٣٩ — شرح شافية ابن الحاجب للشيخ رضي الدين الأستراباذي . مع شرح شواهده للشيخ عبد القادر البغدادي . تحقيق الأساتذة : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين ، دار الكتب العلمية — بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٤٠ — شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . بهاء الدين بن عقيل العقيلي الهمداني المصري . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

٤١ — شرح الكافية الشافية لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك . تحقيق : د . عبد المنعم أحمد هريدي . دار المأمون للتراث ط ١ — ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٤٢ — شرح المفصل . تأليف الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي ، عالم الكتب ، بيروت

٤٣ — شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم للقاضي العالم نشوان بن سعيد الحميري اليمني — أشرف على تصحيحه عند الطبع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني — عالم الكتب — بيروت ، (بدون تاريخ) ..

٤٤ — الصاحبي (في فقه اللغة) لأبي الحسين أحمد بن فارس الرازي ؛
تحقيق : السيد أحمد صقر . عيسى البابي الحلبي . القاهرة
— الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية

٤٥ — طبقات فحول الشعراء تأليف محمد بن سـلام الجمحي ، قرأه
وشرحه : محمود محمد شاكر . جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية بالرياض

٤٦ — علم اللغة العربية — مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات
السامية . د / محمود فهمي حجازي — وكالة المطبوعات —
الكويت ؛ توزيع : دار العلم للملايين — بيروت (المقـدمة
بتاريخ ١٩٧٣ م)

٤٧ — العين — كتاب العين — (معجم) للخليل بن أحمد
جـ١ : تحقيق : د / عبد الله درويش ، مطبعة العاني . بغداد
١٣٨٦هـ/١٩٦٧م . جـ٢ — جـ٧ تحقيق : د / مهدي المخزومي ، د/
إبراهيم السامرائي ، منشـورات وزارة الثقافة والإعـلام
بالجمهورية العراقية

٤٨ — غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام . بمراقبة محمد عبد المعين
خان . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية — حيدر آباد —
الدكن ١٣٨٤هـ/١٩٦٤ م

٤٩ — غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق :
د/ عبد الله الجبوري ، وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية

٥٠ — غريب الحديث لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (المجلدة
الخامسة منه) ، تحقيق : د / سليمان بن إبراهيم العايد — مركز
البحث العلمي بكلية الشريعة — جامعة أم القرى — مكة المكرمة

٥١ — غريب الحديث لأبي سليمان حمد بن محمـد الخطابي ، تحقيق :

عبد الكريم العزباوى ، مركز البحث العلمي — جامعة أم القرى :
ط ١ — ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م

٥٢ — الغريبين : غريبى القرآن والحديث لأبى عبيد الهروى (المتوفى ٤٠١ هـ) ط القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م (الجزء الأول تحقيق : د/ محمود محمد الطناحى)

٥٣ — الفائق فى غريب الحديث للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشرى تحقيق : على محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ط : عيسى البابى الحلبى ، ط ٢

٥٤ — فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبى ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى — ط ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م

٥٥ — فى علم اللغة العام . د/ عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب بالمنيرة — (القاهرة) ١٩٨٤ م

٥٦ — القاموس المحيط للفيروزابادى (تصوير) المؤسسة العربية للطباعة والنشر — بيروت

٥٧ — قطر المحيط (معجم) تأليف : المعلم بطرس البستانى ، بيروت : ١٨٦٩ م

٥٨ — القطوف واللباب — مختارات من الأدب الفارسى ، حامد عبد القادر مكتبة نهضة مصر بالفجالة — القاهرة ١٩٥١ م

٥٩ — القلب والإبدال لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت ضمن مجموعة الكنز اللغوى فى اللسن العربى . نشرها وعلق حواشيها المستشرق : د/ أوجست هفنر المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣ م

٦٠ — القواعد والتطبيقات فى الإبدال والإعلال ، الشيخ عبد السميع شبانة ، الطبعة الرابعة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٨ م ، مطبعة الفتوح — القاهرة

٦١ — الكتاب لسيبويه ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار القلم ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦ م

٦٢ — كشف الطرة عن الغرة للسيد محمود أفندى الحسينى النقشبندى القادرى الشهير بآلوسى زاده . بتصحيح عبد القادر بن الشيخ عمر نبهان على نفقة السيد أفندى الحفنى فى المطبعة الحفنية بدمشق ١٣٠١ هـ

٦٣ — الكليات للعلامة أبى البقاء الحسينى الكفوى . ط ١ بولاق ١٢٥٣هـ، ط ٢ بإشراف عدنان درويش ، محمد المصرى ، وزارة الثقافة — دمشق — ١٩٨٢ م

٦٤ — كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للعلامة على بن حسام الدين الهندى — مكتبة التراث الإسلامى حلب / مؤسسة الرسالة

٦٥ — لسان العرب لابن منظور ط بولاق

٦٦ — اللغة العربية معناها ومبناها ، د / تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م

٦٧ — المجمل (معجم لغوى) لأبى الحسين أحمد بن فارس . تحقيق : زهير سلطان

٦٨ — المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث للإمام الحافظ أبى موسى محمد بن أبى بكر المدينى الأصفهانى تحقيق : عبد الكريم العزباوى (مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى) حـ ١ ط ١ — ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

٦٩ — المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبى الفتح عثمان بن جنى . تحقيق : د / على النجدى ناصف ، د / عبد الحليم النجار ، د / عبد الفتاح شلبى . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٧٠ — المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة ، تأليف : على بن إسماعيل بن سيدة ، (ج ١ — ٦) تحقيق جماعة من العلماء — مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٧٧ هـ — ١٣٩٢ هـ

٧١ — محيط المحيط (معجم) تأليف المعلم بطرس البستانى بيروت ١٨٧٠ م/١٢٨٦ هـ

٧٢ — المخصص . تأليف : أبى الحسن على بن إسماعيل بن سيدة ، ط المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر — بيروت

٧٣ — مد القاموس : إدوارد وليم لين

Edward William lane (An Arabic—English Lexicon) libraire duliban 1968.

٧٤ — المزهر فى علوم اللغة وأنواعها . للعلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، شرحه وضبطه : محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، على محمد البجاوى ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى .

٧٥ — المصباح المنير للفيومى ، تحقيق : د/ عبد العظيم الشناوى . ط : دار المعارف

— معجم دوزى = تكملة المعاجم العربية

٧٦ — معجم القراءات القرآنية مع مقدمة فى القراءات وأشهر القراء د/ عبد العال سالم مكرم ، د/أحمد مختار . عمر مطبوعات جامعة الكويت ، ط ١ — ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م

— معجم لين = مد القاموس

٧٧ — معجم مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون . مصطفى البابى الحلبى ط ٢ — ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

٧٨ — المعجم الوسيط — مجمع اللغة العربية بمصر (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث) مطابع دار المعارف ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م

٧٩ — المُعَرَّب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم لأبى منصور الجواليقى — تحقيق وشرح أبى الأشبال أحمد محمد شاكر — دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ

٨٠ — المُغْرِب فى ترتيب المُعْرِب للإمام اللغوى أبى الفتح ناصر الدين المطرزى حققه: محمود فاخورى، عبد الحميد مختار — مكتبة أسامة ابن زيد (حلب — سورية) ط ١ — ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

٨١ — المفردات فى غريب القرآن للإمام الحسين بن محمد (الراغب الأصفهانى) تحقيق: محمد سيد كيلانى — مصطفى البابى الحلبى — ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م

٨٢ — مقدمتان فى علوم القرآن . تصحيح وطبع : آرثر جفرى، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م

٨٣ — نسيم تصحيح الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض للعلامة شهاب الدين الخفاجى (وبهامشه شرح الشفا للعلامة على القارى)، المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٧ هـ

٨٤ — النشر فى القراءات العشر . تأليف : الحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى، ط. المكتبة التجارية . مصر

٨٥ — نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها بقلم الأب أنستاس مارى الكرملى — المطبعة العصرية — القاهرة ١٩٣٨ م .

٨٦ — نهاية القول المفيد فى علم التجويد للعلامة الشيخ محمد مكى نصر ط ١ — المطبعة الأميرية ببولاق — مصر ١٣٠٨ هـ .

دراسات باللغة الانجليزية :

٨٧ — Chambers's Encyclopaedia. (New Revised Edition) International learning systems corporation limited London (1970)

٨٨ — Elements of General Phonetics by David Abercrombie Edinburgh/University press—1974.

٨٩ — Encyclopaediv Britannica (15th Edition) (1973— 1974) .

٩٠ — Introduction To phonetics by L.F. Brosnahan—Bertil Maberg, W. Heffer & Sons LTD, Cambridge (1970).

٩١ — The Universal English dictionary by Henry Cecil Wyld. Routledge & Kegan Paul Limited, London.

٩٢ — A University Grammar of English by Randolph quirk, sidney greenbaum. Longman 1980.

فهـــرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب القومية ٢٤٥٦ لسنة ١٩٨٧
ترقيم دولى ٤ ــ ٠٢٥٥ ــ ١٠ ــ ٩٧٧

مطابع الدجوى ــ القاهرة عابدين